حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

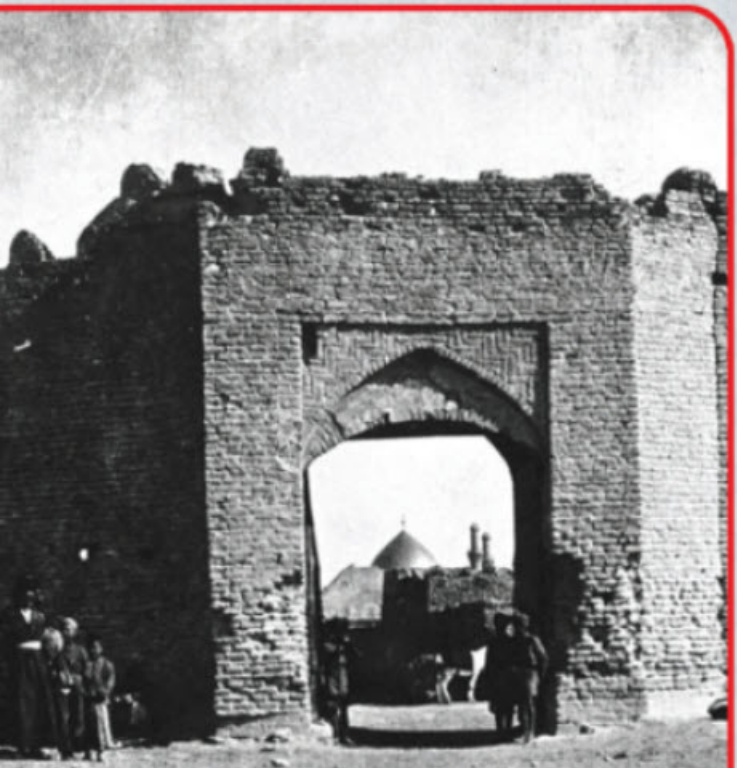

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

ما بقي من آثار الإمام علي عليه السلام في العراق

الأستاذ رسول كاظم عبد السادة(*)

مركز الأمير لتحقيق التراث في النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

كانت حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) زاخرة بالعطاء من جميع النواحي التي تتشكل منها حياة الإنسان، الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، كان أمّة وحده قانتاً لله، مقتفياً أثر رسول الله(صلى الله عليه وآله) حرفاً بحرف، وقد انتقل صلوات الله عليه بالخلافة من المدينة المنوّرة فاكسب الكوفة - والعراق عموما - صفة سوف يبقى أثرها في تاريخه حتى القيامة، ولولا انتقاله من المدينة لما كانت خلافة في بغداد للإسلام بل لم تؤسس بغداد أصلا، إنّ انعطافة التاريخ الإسلامي قد بدأت يوم حطّ علي (عليه السلام) رحله في رحبة الكوفة، ويوم لامست قدماه ثراها:

قَبِّلْ ثرى كوفتي يا مَن تُيمِّمها ... فربَّما طهّرَتْ آثامَك القُبَلُ

آثارُ رِجلَي عليّ في أزقتها ... لليوم مِنْ شمسها لمّا تزل شعل

الزهو فيها حقيقيٌّ إذا افتخرتْ ... وكلُّ زهو بباقي الأرض مفتعل

وقد دخل (صلوات الله عليه) في أغلب مدن العراق المعاصر، من البصرة جنوباً حتى الرقّة وهيت شمالاً، مروراً ببغداد وبابل والنهروان، ولقد كان له في كل أرض مرّ بها أثر معنوي وآخر مادي أما الآثار المعنوية فقد احتفظ لنا التاريخ بالكثير منها ككلمات وقصص، ونهج البلاغة خير شاهد على ذلك، أمّا الآثار المادية فقد تراكمت عليها السنين وتعديات الظالمين الذين دأبوا على إخفاء آثاره عداءً له (عليه السلام) ولشيعته ولكن يأبى الحق إلا علوّاً وظهوراً، فبقيت جملة من الآثار المهمة كان جلُّها مساجد عبادة ومقامات لأمير المؤمنين في العراق تكفّل هذا البحث بالوقوف عندها والتنويه عن مراحل إعمارها، وربما استعنّا بأبحاث الكثير من الأفاضل الذين تجشّموا عناء التتبع والتنقيب في بطون التاريخ لرصد تاريخها، وأحببنا إتماماً للفائدة أنْ نقدّم باختصار ذكر آثار الإمام علي (عليه السلام) في المدينة المنورة، والتي هي أيضاً تعرّضت للطمس مع ما تعرّض من آثار الإسلام في تلك البلاد، نسأل الله التوفيق والسداد وأنْ يغفر لنا زلات الأقلام ويصحّح نيّتنا في البدء والختام

آثار الإمام علي (عليه السلام) في المدينة المنورة

عاش أمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة منذ أنْ هاجر إليها حتى بايعه الناس بالخلافة فانتقل منها إلى الكوفة، وفي هذه السنوات الطويلة كانت له ولأهل بيته (عليهم السلام) آثار كريمة وطيبة منها عباديّة كالمساجد والمجالس، ومنها معاشيّة تحوّلت إلى صدقات ومبرّات كالآبار والعيون والمزارع.

وقد حاول أعداء الدين النَّيل من هذه الآثار إمعانا في تغييب فضائله ومناقبه فأبى الله إلاّ أنْ تكون ظاهرة معلومة تدلّ على أنّ هاهنا كان علي (عليه السلام) وهاهنا كانت الزهراء (عليها السلام). معالم هداية وأطواد علم وعبادة.

وفي هذه الصفحات المتواضعة نحاول أنْ نسير في كتب التاريخ لنقف على بعض تلك الآثار الجلية وقد قسمناها بحسب تلك الأنواع إلى:

أولاً: المساجد

أ: **مسجد الصيحاني**: يقع هذا المسجد في جنوب منطقة العوالي امتدادا لها بعد الإشارة الضوئية للمرور التي تقع في شارع الحزام وامتداداً لشارع قربان الموصل إلى سدّ بطحان شمال مصنع المياه في المدينة المنورة، يحدّه من الجنوب البستان المسمّى (الحنية) المملوك للمرحوم موسى أبي عقبة النخلي أحد الوجهاء في زمانه.

ومن الشمال بستان المرحوم (جيدة السمان) ومن طرف بستان أبي عيفة يقع مسجد ونخل الصيحاني[1].

ذُكر التمر الصيحاني السمهودي[2] وكان سبب تسميته كما في الخبر مرور أمير المؤمنين (عليه السلام) مع النبي(صلى الله عليه وآله) وصاحت النخلات بفضلهما فالتفت النبي(صلى الله عليه وآله) وقال: سمّه الصيحاني[3].

ب: **مسجد الشمس (الفضيخ)**: يقع هذ المسجد في الجهة الشرقية من مسجد قبا على نحو كيلو متر واحد فهو على يمين القادم من مسجد قبا، عند منتهى شارع قربان يتوسط مباني القرية، وفي جنوبه تقع مقبرة صغيرة قديمة للأطفال لا يدفن فيها الآن، وهذا المسجد معروف مشهود عند كثير من سكان المدينة وبعض الحجاج والزوار، وكان صغير المساحة مبنياً بالحجارة السوداء غير مسقوف على شفير الوادي، وحدّد ذرعته السمهودي بأنه مربّع من المشرق إلى المغرب أحد عشر ذراعاً ومن القبلة إلى الشام ونحوها[4] أعيد بناؤه بالطابوق والإسمنت، وهذا من المساجد التي قيل أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) صلّى فيه في غزوة بني النضير وفي هذا المسجد رُدَّت الشمس لأمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يسمى أيضاً مسجد الفضيخ لآن النبي(صلى الله عليه وآله) شرب فيه فضيخاً. وسنتناوله مفصّلاً بعد قليل.

ج: **مسجد المناخة**: ويُسمى مسجد الإمام علي (عليه السلام) ومصلّى العيد للإمام علي ويقع هذا المسجد غرب المسجد النبوي، كان الإمامية يصلّون صلاة العيد فيه حتّى سنة (763 هـ) فمنعهم القاضي السنّي شرف الدين من الصلاة فيه وألزمهم بالدخول مع أهل السنة في المسجد الموجود[5]

وفي هذا المسجد صلّى أمير المؤمنين العيد وخطب في مكان هذا المسجد وفي سنتها حَجَّ بالناس عبد الله بن عباس أيام كان عثمان محصورا[6].

د: **مسجد الخندق**: هو أحد المساجد الستة المعروفة في المدينة عند الخندق جدَّدَهُ - بعد الهدم - الحسين بن أبي الهيجاء أحد وزراء الدولة الفاطمية في مصر[7].

هـ: **مسجد الإمام علي في قبا**: يقع هذا المسجد على مسافة قصيرة من مسجد قبا وبقربه بئر عميقة تسمى العين الزرقاء، ذَكَر هذا المسجد المستشرق بورخات والحاوي[8].

و: **مسجد الإمام علي في العوالي**: يقع هذا المسجد وسط حيٍّ سكني لبني علي من قبيلة حرب في منطقة العوالي تعرف باسم (درب دغميان) في طرف الحرة الشرقية من جهة الغرب.

وشمال هذا المسجد تقع المزرعة المعروفة باسم (سريا) يقال إنّها من أملاك الإمام الباقر (عليه السلام)[9].

ز: **مسجد الإمام علي في أُحُد**: وهذا المسجد يقع محاذياً لقبر الحمزة بن عبد المطلب عم النبي(صلى الله عليه وآله)، ذكره الشيخ عباس القمّي في المفاتيح وذكر استحباب الصلاة فيه ولا أثر له اليوم.

ح: **مسجد المباهلة**: ويسمى مسجد (الإجابة) وهو شمالي البقيع على يسار طريق السالك إلى (العريض) وسط تلول وهي آثار قرية بني معاوية وهو اليوم خراب.

وقصة المباهلة مع نصارى نجران معلومة في كتب الفريقين[10] وهي التي جرت في هذا المسجد، والمعروف عند أهل المدينة المنورة من الشيعة أنّ هذا المسجد هو مسجد المباهلة[11].

ثانياً: العيون والقطائع

لأمير المؤمنين (عليه السلام) في المدينة وما حولها عيون ومزارع وصدقات عديدة أغلبها تم إخفاؤها وتغيير معالمها لئلا يهتدي المحبّون إلى تلك الآثار والتشرّف بزيارتها أو الإطلاع عليها ومنها:

آ: **حديقة أمير المؤمنين** (عليه السلام): تقع في شمال المسجد النبوي الشريف بجوار ما يسمى بـ (الاتريك) أي محطة الكهرباء للمسجد، كان سور الحديقة قريباً من باب بصري باشا العثماني ومساحتها تقرب من (800) م، عليها سور من اللبن والطين وهو من جهة الغرب فيما يبدو، وكان عليها باب من خشب السدر، وكان مسؤولو النظافة في المسجد النبوي يضعون فيها كناسة المسجد وكانت مستودعا لأدوات النظافة الخاصة بالمسجد[12].

ب: **أرض الفقيرين**: وهو اسم لموضعين قرب المدينة، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ النبي(صلى الله عليه وآله) أقطعهما لأمير المؤمنين (عليه السلام).

---

(1) مستدرك ما فات أهل الدار للحربي: 63

(2) وفاء الوفاء: 72/1، خدامة الوفاء: 30

(3) فضائل ابن شاذان: 1/ 88، ينابيع المودة: 160.

(4) وفاء الوفاء: 73/1.

(5) المساجد الأثرية في المدينة المنورة لمحمد إلياس عبد الغني: 164.

(6) ينظر في حادثة رد الشمس: التحفة اللطيفة: 40، الوسائل: 14 / 355، الجواهر: 2 / 110، الفضائل الخمسة: 2 / 119 وغيرها كتب كثيرة.

(7) نصيحة المشاور والتعزية المجاور لاين فرخون: 219.

(8) المعارف لابن قتيبة: 196.

(9) التعريف بما اثبتت الهجرة من المعالم دار الهجرة، المطري: 51.

(10) التحفة اللطيفة: 40، موسوعة العتبات المقدسة قسم المدينة: 256.

(11) مستدرك ما فات أهل الدار: 80.

(12) مستدرك الحاكم: 3/ 150، مسند أحمد: 1 / 185، تفسير الطبري: 3/ 213، الصواعق المحرقة: 93، وغيرها الكثير من المصادر

ذكرها ابن شبّة والسمهودي، والمعروف عند أهل المدينة اليوم وما هو شائع على ألسنتهم أنّ مزرعة فقير هي في المكان نفسه الذي وصفه السمهودي، وهما من أملاك سلمان الفارسي وكانت إلى عام 1400 هـ في أيدي نسله المعروفين بالفوارس، وكان الحجاج والزوار يأتون إليها ويشترون من ثمرها، ثم نزعت ملكيتها وقطع نخلها وأقيمت مكانه مدرسة ثانوية للبنين[1].

ج: صدقات أخرى: ولأمير المؤمنين (عليه السلام) خارج المدينة عيون ومزارع كثيرة منها: البغيبغة وعين البحير وعين أبي نيزر وعين الحث وعين العصيبة وعين ناقة وعين نولة وخيف الأراك وخيف ليلة وخيف بطاس، وبوادي القرى له عين حسن بالبيرة من العلا، وله بوادي القرى أيضاً عين الموات وعين سكر وبحرة الرجلاء، وله بناحية فدك (الحائط والحويط) وادي لأبي حرّة يدعى (رعية)، وله أيضاً وادي (الأسمق والقضيبة)[2].

د: آبار علي (أبيار علي): في ذي الحلفية من القسم الجنوبي من وادي العقيق الذي هو أحد أودية المدينة المنورة، وهي مجموعة من الآبار بعضها ردم وبعضها الآخر ما يزال موجوداً ماثلا للعيان، وماؤها عذب فرات، حفرها أمير المؤمنين (عليه السلام) وعددها ثلاثة وعشرون بئراً وفيها مسجد لأمير المؤمنين (عليه السلام)[3].

هـ: سويقة: تصغير ساق موضع قرب المدينة المنورة يسكنه آل علي بن أبي طالب، وكان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب خرج على المتوكل فأنفذ إليه أبا الساج في جييش ضخم فظفر به وبجماعة من أهله فأخذهم وقيّدهم وقتل بعضهم وخرّب سويقة وعقر نخلها الكثير وخرب منازلهم وما افلحت سويقة بعد ذلك، وكانت من جملة صدقات علي بن أبي طالب (عليه السلام)[4]

ثالثاً: مسجد الإمام علي (عليه السلام) في المدينة المنورة

ومن أهم آثار الإمام علي (عليه السلام) الباقية حتى الآن المسجد المعروف باسمه قرب المسجد النبوي والمسمّى بمسجد الإمام علي (عليه السلام).

وهو من المساجد التي ينبغي زيارتها والصلاة فيها، وهو من مساجد مصلّى الأعياد التي صلّى النبي(صلى الله عليه وآله) العيد فيها، وهو مسجد كبير شمالي الحديقة متصل بها يسمى مسجد علي بن أبي طالب (عليه السلام)[5].

وقد ورد أنّ النبي صلّى العيد في أماكن متعددة والمشهور منها الآن ثلاثة كلها غربي المدينة خارج باب المصري بين الموضع المعروف بالمناخة والمناخة هي موضع بالقرب من الحرم النبوي يحمل في الوقت الحاضر هذا الاسم نفسه) وبطحان، أحدها يسمى مسجد مصلّى العيد ويعرف اليوم بمسجد الغمامة، ونسبته إلى الإمام علي (عليه السلام) لأنّه صلّى فيه العيد[6].

هذا المسجد من المواضع التي صلّى فيها رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ويعتبر ثالث المساجد الثلاثة في ميدان المصلّى، ويبعد من مسجد المصلّى (122م) وعن مبنى التوسعة السعودية الثانية للمسجد النبوي الشريف (290 م) يقال له: مسجد علي، ولعل سبب تسميته بذلك أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) صلّى فيه العيد وعثمان محصور، وأفاد المطري (ت 741 هـ) (أنّ هذا المسجد مِنَ الأماكن التي صلّى فيها رسول الله(صلى الله عليه وآله) صلاة العيد في بعض السنوات،، يرى السمهودي (ت 911 هـ) أنّ هذا المسجد قد دثر حتى صار بعض الحجاج يدفن فيه الموتى أيام نزولهم هناك.

وذكر المطري (ت 741 هـ) هذا المسجد ضمن مساجد المصلّى، قال: ومسجد كبير شمالي الحديقة متصل بها، وأشار إليه المراغي (ت 816 هـ)[7].

موقع المسجد

يوجد هذا المسجد غربي مسجد الرسول(صلى الله عليه وآله)، شمال مسجد المصلّى مما يلي الغرب، قرب شارع المناخة، على يسار المتّجه إلى شمال المدينة المنورة، ولا يبعد عن المسجد النبوي أكثر من أربعمائة متر، وبالقرب من مسجد أبي بكر، وموضع المسجد كان فيما مضى شمال حديقة العريضي قديماً، ويشغلها الآن حيّ العريضة، والمسجد يقع في شمال غربي مسجد الغمامة، وقرب زقاق الطيّار[8]. في واجهة شارع العينية المنطلق من ميدان المسجد النبوي الغربي الواقع بين باب السلام وباب الرحمة، وهذا الشارع فتحه فخري باشا حاكم المدينة زمن الأتراك إبان الحرب العالمية الأولى، ويشرف على المسجد دار آل إلياس ودار آل الكردي وهما في رأس، وربما كانت هاتان الداران في موقع دار حكيم ابن العداء الهوازني، فمن حيث ما أتيت من المناخة من جنوبها أو شمالها تصل إلى

(1) التاريخ الأمين لمدينة سيد المرسلين: **343**.
(2) مستدرك ما فات أهل الدار: **82**.
(3) المغانم المطابة في المعالم طابة: **318**.
(4) ظ: وفاء الوفاء: **155/2**، مستدرك ما فات أهل الدار: **83**. تاريخ المدينة، ابن شنبة: **219**. تاريخ معالم المدينة قديما وحديثاً للكردي: **199**. المغانم المطابة في اخبار طابة، للفيروز ابادي: **192**.
(5) تحقيق النصرة ص **234**
(6) المدينة المنورة في رحلة العياشي ص **145**
(7) المساجد الأثرية في المدينة النبوية ص **246**
(8) دليل مساجد المدينة المنورة ص: **6**

المسجد المذكور لأنّه يتوسّطها تقريباً في جانبها الغربي عند مدخل زقاق الطيار والمسافة إليه من المسجد النبوي عن طريق شارع العينية قريبة جداً حوالي (350) متراً.

نقل السمهودي عن ابن شبة وابن زبالة عن أبي هريرة، قال: أول فطر وأضحى صلّى رسول الله(ﷺ) بالناس بالمدينة المنورة بفناء دار حكيم بن العداء عند أصحاب المحامل، أي الذين يصنعونها ويبيعونها، وهي رواية للثاني (يقصد صلاة العيد الثاني) صلّى في ذلك المسجد، وهو خلف المجزرة التي بفناء دار العداء بن خالد، وقال: هي دار ابنه حكيم بن العداء بن أبي بكر من هوازن، ومنزلهم مع مزينة غربي المصلّى، فلعله المسجد الكبير المعروف بمسجد علي (ﷺ)، شامي المصلّى مما يلي المغرب، متصل بشامي الحديقة المعروفة بالعريضي؛ لأن سوق المدينة كان هناك.

مراحل إعمار المسجد ووصفه

بُني المسجد في ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة المنورة (91 - 93 هـ)، في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقد دُثِرَ وجَدَّدَ بناءه والي المدينة المنورة زين الدين بن ضفيم المنصوري في سنة إحدى وثمانين وثمانمائة، وكتب هذا التاريخ في لافتة على مدخل المسجد، وفوق مدخله بالسور الخارجي لوحة كتب عليها النص التالي: مسجد سيدنا علي (881هـ /1476 ـ 7م) وفيها أبيات من الشعر منها:

خيراتُ سلطاننا عبد المجيد نمتْ

جلّت دعائمُه إذ كان راسمه

فياله مسجد دار البهاء به

أرخته ساد طول الدهر ناشيه

عام 1269هـ

طول الزمان بوصل غير منفصل

مدير حكم لطيف الاسم والعمل

يفوق شمس الضحى في دارة الحمل

مليكنا الماجد السامي على الدول[1]

ثم جدده أيضاً السلطان عبد المجيد الأول العثماني عام (1269هـ).

وصف عمارته الحالية:

أزيل البناء القديم للمسجد لتتمّ عمارته وتوسعته، وقد تمَّ ذلك في سنة (1411هـ) كما هو مسجل في اللوحة المثبتة على يسار المدخل الشرقي للمسجد.

والمسجد يتكون من رواق واحد، قسّم إلى سبع وحدات فراغية أكبرها أمام المحراب، وغطيت الفراغات بواسطة سبع قباب كروية منخفضة أكبرها القبة الرئيسية أمام المحراب وارتفاعها (13م) أما القباب الصغيرة فارتفاعها (11م) وينفتح الرواق من الجهة الشمالية على صحن مكشوف ذي مسقط مستطيل، وأضيف مصلّى صغير مسقوف للنساء. أما المنارة فارتفاعها (26) متراً، والتصميم الحالي للمسجد مماثل للبناء القديم، ويبلغ طوله (31م) وعرضه (22م) ومساحته الإجمالية (882م2) وبجانب المسجد مقبرة قديمة. ولعلها التي أشار إليها السمهودي قائلاً: إنّ مسجد علي قد دثر حتّى صار بعض الحجاج يدفنون فيه الموتى أيام نزولهم هناك.

والمسجد حالياً مستطيل الشكل، يتكون من صحن مكشوف يشغل القسم الشمالي منه، ثم رواق مسقوف هو رواق القبلة، وطول المسجد من داخله خمسة وثلاثون متراً، وعرضه من الداخل أيضاً تسعة أمتار، وبذلك تبلغ جملة الفراغات الداخلية ثلاثمائة وخمسة عشر متراً مربعاً، ورواق القبلة يشتمل على ست دعامات، سمك كل منها حوالي المتر، وطول قاعدتها متر وربع المتر، وارتفاع الدعامات من القاعدة وحتى منابت العقود متران، وتمتد الدعامات بطول المسجد من الشرق إلى الغرب، وبنيت من الحجر الأسود، وتحمل الدعامات عقود المسجد.

والجدار القبلي يمتد بطول المسجد من الشرق إلى الغرب، وطوله خمسة وثلاثون متراً، وبني من الحجارة، وتبرز منه ثماني دعامات بنيت من الحجر الأسود، وتحمل أطراف العقود من الناحية الجنوبية، وتمتد العقود بعرض الرواق المسقوف، من الجنوب إلى الشمال بحيث ترتكز أطراف العقود على الدعامات الست، التي تحد الرواق القبلي من الشمال وترتكز بأطرافها الأخرى على الدعامات التي تبرز من الجدار الجنوبي، وتمتد العقود بعرض الرواق القبلي، والعقود مزيّنة بالحجارة السوداء، وفي نهاية الجدار القبلي من ناحية الشرق يمتد عقد بعرض المسجد لاصق بالجدار الشرقي، ومثله بالجدار الغربي، وطول الجدار الشرقي لرواق القبلة (9) أمتار وهي عرض المسجد، وينتهي رواق القبلة من ناحية الشمال مما يلي صحن المسجد بعقود من الحجر الجرانيتي، تمتد بطول المسجد من الشرق إلى الغرب، وتمثل نهاية الرواق المسقوف.

وفي وسط المسجد قبة تأخذ موضعها أمام المحراب، مقامة على أربعة عقود، يرتكز عليها عنق القبة، وتنتشر الزخارف الجصيّة عند بداية عنق القبة، وعن يمين قبة المحراب تنتشر ثلاثة أشباه لقباب مصغرة، تمتد بطول المسجد، ومثلها كذلك عن يسار قبة المحراب.

(1) التحفة اللطيفة ج 40/1

محراب المسجد يتوسط جداره الجنوبي، تحت قبة المحراب، وسعة فتحة المحراب حوالي المتر وربع المتر، وارتفاعه نحو ثلاثة أمتار، وطلي تجويف المحراب باللّون الرمادي، وفي أعلى المحراب عقد من الحجر الأسود، مثبت على كتفين بجوار فتحة المحراب وليس للمسجد منبر.

منارة المسجد مقامة في الجهة الشرقية، قرب مدخله، والمنارة متواضعة الارتفاع، لها شرفة واحدة، وبأعلاها هيكل مخروطي من المعدن، ومدخل المسجد من الشرق يفتح على شارع المناخة، وزيّن الجدار الشرقي بالحجر الأسود، وهذا يتفق مع الطراز العام لمساجد المنطقة، كمسجد الغمامة ويسود اللون الأبيض والأسود كزخرف داخلي للمسجد.

بعد أنْ استعرضنا الآثار الباقية للإمام علي في المدينة المنورة ننتقل إلى الآثار الباقية في العراق وقد رتبناها حسب نشأتها ما أمكننا البحث التاريخي لذلك وهي:

1- مقام الإمام علي (عليه السلام) في ذي قار

أول مقام وأثر حطّ فيه الإمام علي (عليه السلام) رحله في العراق هو في ذي قار بعد أنْ توقف لالتحاق جيش الكوفة به، وبعدها ذَهَبَ إلى البصرة لمحاربة الناكثين أصحاب الجمل.

عن عمرو بن شمر، قال: سمعت جابر بن يزيد الجعفي يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) يقول: حدّثني أبي، عن جدي (عليهم السلام) قال: لما توجّه أمير المؤمنين (عليه السلام) من المدينة إلى الناكثين بالبصرة نزل بالربذة، فلما ارتحل منها لقيه عبد الله بن خليفة الطائي، وقد نزل بمنزل يقال له فائد فقربه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له عبد الله: الحمد لله الذي ردَّ الحقَّ إلى أهله، ووضعه في موضه، كره ذلك قوم أو استبشروا به، فقد والله كرهوا محمداً(صلى الله عليه وآله) ونابذوه وقاتلوه فردّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل دائرة السوء عليهم، والله لنجاهدنَّ معك في كلّ موطن حفظا لرسول الله(صلى الله عليه وآله). فرحَّب به أمير المؤمنين (عليه السلام) وأجلسه إلى جنبه، وكان له حبيباً ووليّاً، يسائله عن الناس، إلى أنْ سأله عن أبي موسى الأشعري، فقال: والله ما أنا وا ثق به، وما آمن عليك خلافه إنّ وجد مساعداً على ذلك. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما كان عندي مؤتمناً ولا ناصحاً، ولقد كان الذين تقدّموني استولوا على مودَّته وولوه وسلّطوه بالأمر على الناس، ولقد أردت عزله، فسألني الأشتر فيه أنْ أقرّه فاقررته على كره منّي له، وعملت على صرفه من بعد. قال: فهو مع عبد الله في هذا ونحوه إذ أقبل سواد كثير من قبل جبال طيء، فقال أمير المزمنين (عليه السلام): انظروا ما هذا؟ وذهبت الخيل تركض، فلم تلبث أنْ رجعت فقيل له: هذه طيئ قد جاءتك تسوق الغنم والإبل والخيل، فمنهم من جاءك بهداياه وكرامته، ومنهم من يريد النفور معك إلى عدوّك. فقال أمير المؤمنين: جزى الله طياً خيراً ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾.

فلما انتهوا إليه سلّموا عليه، قال عبد الله بن خليفة: فسرّني والله ما رأيت من جماعتهم وحسن هيئتهم، وتكلّموا فأقرّوا والله عيني، ما رأيت خطيباً أبلغ من خطيبهم، وقام عدي بن حاتم الطائي، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني كنت أسلمت على عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأدّيت الزكاة على عهده، وقاتلت أهل الردّة من بعده، أردت بذلك ما عند الله، وعلى الله ثواب من أحسن واتقى، وقد بلغنا أنّ رجالا من أهل مكة نكثوا بيعتك، وخالفوا عليك ظالمين، فأتينا لنصرك بالحق، فنحن بين يديك، فمرنا بما أحببت ثم أنشأ يقول:

بحقّ نصرنا الله من قبل ذاكم ... وأنت بحقٍّ جئتنا فَسَتُنْصَرُ

سنكفيك دون الناس طرّاً بنصرنا ... وأنت به من سائر الناس أجدرُ

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): جزاكم الله من حي عن الإسلام وعن أهله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقتلتم المرتدين، ونويتم نصر المسلمين.

وقام سعيد بن عبيد البحتري من بني بحتر، ففال: يا أمير المؤمنين، إنّ من الناس مَنْ يقدر أنْ يبيّن بلسانه عمّا في قلبه، ومنهم من لا يقدر أنْ يبيّن ما يجد في نفسه بلسانه، فإنْ تكلّف ذلك شقَّ عليه، وإنْ سكت عمّا في قلبه برح به الهم والبرم، وإني والله ما كل ما في نفسي أقدر أنْ أؤديه إليك بلساني، ولكن والله لاجهدَنّ على أنْ أبين لك، والله ولي التوفيق. أما أنا، فإني ناصح لك في السِّر والعلانية، ومقاتل معك الأعداء في كل موطن، وأرى لك من الحق ما لم أكن أراه لمن كان قبلك، ولا لأحد اليوم من أهل زمانك، لفضيلتك في الإسلام، وقرابتك من الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولن أفارقك أبداً حتى تظفر أو أموت بين يديك.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يرحمك الله، فقد أدّى لسانك ما يكنُّ ضميرك لنا، ونسأل الله أنْ يرزقك العافية ويثيبك الجنّة.

وتكلم نفر منهم، فما حفظت غير كلام هذين الرجلين،

ثم ارتحل أمير المؤمنين (عليه السلام) واتبعه منهم ستمائة رجل حتى نزل ذاقار، فنزلها ألف وثلاثمائة رجل[1].

وفي ذي قار قال (عليه السلام) وهو جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل ؛ لا يزيدون رجلاً، ولا ينقصون رجلاً، يبايعوني علي الموت.

قال ابن عبّاس: فجزعت لذلك، وخفت أنْ ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه ؛ فيفسد الأمر علينا، ولم أزل مهموماً دأبي

(1) الطوسي، الأمالي، ص 71

إحصاء القوم، حتّى ورد أوائلهم، فجعلت أُحصيهم، فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً، ثمّ انقطع مجيء القوم.

فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟ فبينا أنا مفكّر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل، حتّى دنا ؛ فإذا هو راجل عليه قباء صوف معه سيفه وتُرْسُه وأداوته، فقرب من أمير المؤمنين فقال له: امدد يدك أُبايعْك.

فقال له أمير المؤمنين: وعلام تبايعُني؟ قال: على السمع والطاعة، والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك.

فقال له: ما اسمك؟ قال: أُوَيْس.

قال: أنت أُويس القَرَني؟ قال: نعم.

قال: الله أكبر، أخبرني حبيبي رسول الله أنّي أُدرك رجلاً من أُمّته يقال له: أُويس القرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر.

قال ابن عبّاس: فسُرّي عنّي.

وعن ابن عبّاس: لمّا نزل الإمام عليّ بذي قار أخذ البيعة على من حضره، ثمّ تكلّم فأكثر من الحمد لله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ثمّ قال:

قد جرت أُمور صبَرنا عليها ـ وفي أعيننا القذى ـ تسليماً لأمر الله تعالى فيما امتحننا به رجاء الثواب على ذلك، وكان الصبر عليها أمثل من أنْ يتفرّق المسلمون وتُسفك دماؤهم.

نحن أهل بيت النبوّة، وأحقّ الخلق بسلطان الرسالة، ومعدن الكرامة التي ابتدأ الله بها هذه الأُمّة.

وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوّة ولا من ذرّية الرسول، حين رأيا أنّ الله

دأب الماضين قبلهما، ليذهبا بحقّي، ويفرّقا جماعة المسلمين عنّي. ثمّ دعا عليهما

ومن خطب الإمام بذي قار

قال عبد الله بن عبّاس: دخلت على أمير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال: والله لهي أحبُّ إليَّ من إمرتكم إلاّ أنْ أُقيم حقّاً أو أدفع باطلاً. ثمّ خرج فخطب الناس فقال:

إنّ الله بعث محمّداً وليس أحدٌ من العرب يقرأ كتاباً ولا يدّعي نبوّة، فساق الناس حتى بوّأهم محلّتهم وبلّغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم واطمأنّت صفاتهم.

أما والله، إنْ كنت لفي ساقتها حتى تولّت بحذافيرها، ما عجَزتُ ولا جبنتُ، وإنّ مسيري هذا لمثلها، فَلأنقُبنّ الباطل حتى يخرج الحقّ من جنبه.

مالي ولقريش! والله، لقد قاتلتهم كافرين ولأُقاتلنّهم مفتونين، وإنّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم، والله ما تنقم منّا قريش إلاّ أنّ الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم

أدَمتَ لَعَمرى شُربَكَ المحضَ صابحاً

وأكلَكَ بالزبد المقشّرةَ البُجرا

ونحن وهبناك العلاءَ ولم تكن

عليّاً وحُطنا حولك الجُردَ والسُّمرا

وعن زيد بن صوحان ـ من خطبته بذى قار ـ: قد علم الله سبحانه أنّي كنت كارهاً للحكومة بين أُمّة محمّد، ولقد سمعته يقول: "ما مِنْ والٍ يلي شيئاً من أمر أُمّتي إلاّ أُتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عُنقه على رؤوس الخلائق، ثمّ يُنشر كتابه، فإنّ كان عادلاً نجا، وإن كان جائراً هوى.

حتى اجتمع عليَّ ملؤكم، وبايعني طلحة والزبير، وأنا أعرف الغدر في أوجههما، والنكث في أعينهما، ثمّ استأذناني في العمرة، فأعلمتُهما أنْ ليس العمرة يريدان، فسارا إلى مكّة واستخفّا عائشة وخدعاها، وشخص معهما أبناءُ الطلقاء، فقدموا البصرة، فقتلوا بها المسلمين، وفعلوا المنكر. ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما عليَّ! وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما، ولو شئت أنْ أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عنّي، وخرجا يوهمان الطَّغام أنّهما يطلبان بدم عثمان.

والله، ما أنكرا عليَّ منكراً، ولا جعلا بيني وبينهم نِصْفاً، وإنّ دم عثمان لمعصوب بهما، ومطلوب منهما.

يا خيبة الداعي! إلامَ دعا؟ وبماذا أُجيبَ؟ والله، إنّهما لعلى ضلالة صمّاء، وجهالة عمياء، وإنّ الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورجله، ليعيد الجور إلى أوطانه، ويردّ الباطل إلى نصابه.

ثمّ رفع يديه، فقال:

اللهمّ إنّ طلحة والزبير قطعاني، وظلماني، وألّبا عليَّ، ونكثا بيعتي، فاحلل ما عقدا، وانكث ما أبرما، ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساءة فيما عملا وأمّلا!

ومن كلامه ـ وقد نهض من ذي قار متوجّهاً إلى البصرة ـ بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله:

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصرة له، والله، ما صلحت دنيا قطّ ولا دين إلاّ به، وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله وشبّه في ذلك وخدع، وقد بانت الأُمور وتمخّضت، والله ما أنكروا عليّ منكراً، ولا جعلوا بيني وبينهم نَصِفاً، وإنّهم ليطلبون حقّاً تركوه ودماً هم سفكوه،

ولئن كنت شركتهم فيه، إنّ لهم لنصيبهم منه، ولَئن كانوا ولوه دوني فما تبعته إلاّ قبلهم، وإنّ أعظم حجّتهم لعلي أنفسهم، وإنّي لعلى بصيرتي ما لُبِّست علىَّ، وإنّها لَلفئة الباغية فيها الحُمّي والحُمة، قد طالت هلبتها وأمكنت درّتها، يرضعون أُمّاً فطمت، ويحيون بيعة تركت ؛ ليعود الضلال إلى نصابه.

ما أعتذر ممّا فعلت، ولا أتبرّأ ممّا صنعت، فخيبة للداعي ومن دعا، لو قيل له: إلي من دعواك؟ وإلى من أجبت؟ ومَنْ إمامُك؟ وما سنّته؟ إذاً لزاح الباطل عن مقامه، ولصمت لسانه فما نطق. وايم الله، لأفرُطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه، لا يصدرون عنه ولا يلقون بعده ريّاً أبداً، وإنّي لراض بحجّة الله عليهم وعذره فيهم، إذ أنا داعيهم فمُعذر إليهم، فإن تابوا وأقبلوا فالتوبة مبذولة والحقّ مقبول، وليس على الله كفران، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف وكفى به شافياً من باطل وناصراً لمؤمن.

وعن سلمة بن كهيل: لمّا التقى أهل الكوفة وأمير المؤمنين بذي قار رحبّوا به وقالوا: الحمد لله الذي خصّنا بجوارك وأكرمنا بنصرتك. فقام أمير المؤمنين فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

يا أهل الكوفة! إنّكم من أكرم المسلمين وأقصدهم تقويماً، وأعدلهم سنّة، وأفضلهم سهماً في الإسلام، وأجودهم في العرب مُرَكّباً ونصاباً، أنتم أشدّ العرب وداً للنبيّ ولأهل بيته، وإنّما جئتكم ثقةً ـ بعد الله ـ بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة والزبير وخلعهما طاعتي، وإقبالهما بعائشة للفتنة، وإخراجهما إيّاها من بيتها حتى أقدماها البصرة، فاستغووا طغامها وغوغاءها، مع أنّه قد بلغني أنّ أهل الفضل منهم وخيارهم في الدين قد اعتزلوا وكرهوا ما صنع طلحة والزبير.

ثمّ سكت، فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك وأعوانك على عدوّك، ولو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير ورجوناه.

وفي نهج البلاغة: من كلامه في وجوب اتّباع الحقّ عند قيام الحجّة كلّم به بعض العرب، وقد أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم، فبيّن له من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ، ثمّ قال له: بايع.

فقال: إنّي رسول قوم، ولا أُحدث حدثاً حتى أرجع إليهم.

فقال: أ رأيت لو أنّ الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم مساقط الغيث، فرجعت إليهم وأخبرتهم عن الكلأ والماء، فخالفوا إلى المعاطش والمجادب، ما كنتَ صانعاً؟

قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء.

فقال: فامدد إذاً يدك.

فقال الرجل: فوَ الله ما استطعت أنْ أمتنع عند قيام الحجّة عليَّ، فبايعته.

والرجل يُعرف بكُليب الجرمي.

عن كليب: لمّا قتل عثمان ما لبثنا إلاّ قليلاً حتى قدم طلحة والزبير البصرة، ثمّ ما لبثنا بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى أقبل عليّ بن أبي طالب فنزل بذي قار، فقال شيخان من الحيّ: اذهب بنا إلى هذا الرجل فننظر ما يدعو إليه، فلمّا أتينا ذا قار قدمنا على أذكى العرب، فوَ الله لدخل على نسب قومي، فجعلت أقول: هو أعلم به منّي وأطوع فيهم.

فقال: من سيّد بني راسب؟

فقلت: فلان.

قال: فمن سيّد بني قدامة؟

قلت: فلان، لرجل آخر.

فقال: أنت مبلغهما كتابين منّي؟

قلت: نعم.

قال: أ فلا تبايعوني؟

فبايعه الشيخان اللذان كانا معي وتوقّفت عن بيعته، فجعل رجال عنده قد أكل السجود وجوههم يقولون: بايع بايع.

فقال: دعوا الرجل.

فقلت: إنّما بعثني قومي رائداً وسأُنهي إليهم ما رأيتُ، فإن بايعوا بايعت، وإن اعتزلوا اعتزلت.

فقال لي: أ رأيت لو أنّ قومك بعثوك رائداً فرأيت روضةً وغديراً، فقلتَ: يا قومي النجعة النجعة! فأبوا، ما كنت بمُستنجح بنفسك؟

فأخذت بإصبع من أصابعه وقلت: أُبايعك على أنْ أُطيعك ما أطعتَ الله، فإذا عصيتَه فلا طاعة لك عليَّ.

فقال: نعم. وطوّل بها صوته، فضربت على يده.

ثمّ التفتَ إلى محمّد بن حاطب، وكان في ناحية القوم، فقال:

إذا انطلقت إلى قومك فأبلغهم كتبي وقولي.

فتحوّل إليه محمّد حتى جلس بين يديه وقال: إنّ قومي إذا أتيتهم يقولون: ما يقول صاحبك في عثمان؟ فسبّ عثمان الذين حوله، فرأيت عليّاً قد كره ذلك حتى رشح جبينه وقال:

أيّها القوم! كفّوا ما إيّاكم يَسأل.

قال: فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على عليّ أهل الكوفة فجعلوا يقولون: نرى إخواننا من أهل البصرة يقاتلوننا، وجعلوا يضحكون ويعجبون ويقولون: والله لو التقينا لتعاطينا الحقّ،

كأنّهم يرون أنّهم لا يقتتلون. وخرجت بكتابَي عليّ فأتيت أحد الرجلين فقبل الكتاب وأجابه، ودُللت على الآخر، وكان متوارياً، فلو أنّهم قالوا له: كليب، ما أذن لي، فدخلت عليه ودفعت الكتاب إليه وقلت: هذا كتاب عليّ وأخبرته الخبر وقلت: إنّي أخبرت عليّاً أنّك سيّد قومك، فأبى أنْ يقبل الكتاب ولم يجبه إلى ما سأله وقال: لا حاجة لي اليوم في السؤدد، فوَ الله، إنّي لبالبصرة ما رجعت إلى عليّ حتى نزل العسكر، ورأيت القوم الذين مع عليّ فطلع القوم[1].

وتخليدا لهذا المكان الذي تشرف بلثم أقدام أمير المؤمنين (عليه السلام) شيّد مقامٌ كبيرٌ يؤمّه مئات الزوار كلَّ يوم وآلافٌ في المناسبات يستذكرون فيه السيرة الكريمة العطرة لأمير المؤمنين (عليه السلام)

ويعتبر مقام الإمام علي في الناصرية من المواقع الدينية المقدسة والأثرية والسياحية المهمة في المحافظة، شُيّد هذا المقام بعد مرور الإمام (عليه السلام) بهذا المكان أثناء توجهه إلى البصرة بعد قدومه من المدينة ماراً بالحجاز ثم الإقامة في ذي قار لإطفاء الفتنة في حرب الجمل حيث أقام في هذا المكان مدة ثلاثة أشهر كان فيها الكثير من الخطب ومن الحكم وكثير من الإصلاحات في المجتمع ومن هنا أتت أهمية هذا المكان.

إنّ تطوير المقام واتساعه بحلّته الجديدة كانت بجهود فردية من قبل القائمين عليه والدعم المتواصل من قبل أحد المؤمنين وهو الحاج غانم جبار الزبيدي وفّقه الله والذي كان له المشاركة الكبرى في إعادة بناء هذا الصرح المقدّس حيث تبرع بأكثر من مليار دينار منذ عام 2003 ولحد اليوم..

يمثل هذا المقام في وقتنا الحاضر مدرسة تقدم من خلالها الدروس الدينية الاجتماعية والتربوية ويحتوي المقام على مصلين مصلّى للنساء وآخر للرجال.

وقد صدر للباحث الإسلامي صباح محسن كاظم كتاب عنه بعنوان مقام الإمام علي (عليه السلام) في الناصرية. يتناول مسيرة الإمام إلى البصرة ونزوله في ذي قار

2- مسجد خطوة الإمام علي (عليه السلام) في البصرة

وصل الإمام علي (عليه السلام) إلى البصرة من ذي قار وبعد أنْ هزم أصحاب الجمل توجه الإمام (عليه السلام) إلى أهل البصرة معاتبا لهم عن خذلان وإليه وكان محل خطابه لهم في مسجدها الجامع.

كان هذا المسجد الثاني الذي بني في الإسلام بعد المسجد النبوي وحيث تم بناؤه سنة 14هـ بعد فتح المدينة على يد القائد عتبة بن غزوان والذي بناه بالقصب، ويروى أنّ الذي قام بعملية البناء أما محجر بن الادرع من قبيلة سليم، أو نافع بن الحارث بن كلدة. وبعد بنائه تحولت حوله المساكن والخطط

وبعد سنة 17هـ احترقت البصرة وربما شمل الحريق المسجد أيضا، فأعاد بناءه الوالي أبو موسى الأشعري باللبن والطين، وسقفه بالعشب وزاد في مساحته.

ولما تولّى زياد بن أبيه ولاية البصرة لمعاوية بن أبي سفيان اتخذ عدة إجراءات في إعمار المسجد، حيث وسّع مساحته وأعاد بناءه بالآجر والجص أما سقفه فمن الساج.

واتخذ له أعمدة من حجر نحتها من جبال الأحواز.

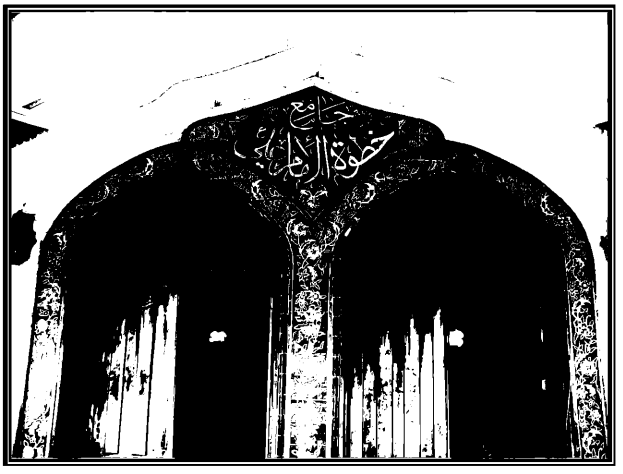

ويقال: لما أعاد زياد بناء المسجد ودار الإمارة أخذ يطوف حولها ويقول: أترون خللاً؟ فيقولون: ما نعلم ببناء أحكم منه. فقال: بلى هذه التي على كل وأحد منها أربعة عقود لو كانت أغلظ من سائر الأساطين وقد ظلت هذه الأساطين سالمة قوية لم تتصدع أو يصيبها عيب حتى قال فيها الشاعر: ـ

بنى زياد لذكر الله مصنعة ... من الحجارة لم تعمل من الطين

لولا تعاون أيدي الناس ترفعها ... إذاً لقلنا من أعمال الشياطين

وجعل زياد صُفّة الجامع المقدمة خمس سواري، وبنى منارته بالحجارة وهو أول من عمل المقصورة، ونقل الأمارة إلى قبلة المسجد.

ويقال: إنّ زياداً رأى الناس ينفضون أيديهم إذا تربت وهم في الصلاة. فقال: لا آمن أنْ يظن الناس على طوال الأيام أن نفض الأيدي في الصلاة سُنّة، فأمر بجمع الحصى وإلقائه في المسجد.

بقي هذا المسجد أثراً تاريخياً شاخصاً، وأخذ يعرف باسم (خطوة الإمام علي (عليه السلام)) أو جامع الإمام علي (عليه السلام)) والسبب في ذلك يعود لزيارة الإمام (عليه السلام) له أيام خلافته سنة 36 هـ وإلقائه عدداً من الخطب في هذا المسجد ومن بينها تنبؤاته

(1) ظ: تاريخ الطبرى: ٤ / ٥٠٠، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٢٩، شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٢١.

لمصير هذه المدينه ومسجدها حيث قال: كأني انظر إلى تربتكم هذه قد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلاّ شُرَف المسجد كأنّه جؤجؤ طير في لجة بحر.

وفي رواية (كجؤجؤ سفينة) قال ابن أبي الحديد في تعليقه على كلام الإمام أعلاه: (فأما أخباره (عليه السلام) إنّ البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بها، فقد رأيت من يذكر أنّ كتب الملاحم تدلّ على أنّ البصرة تهلك بالماء الأسود يتفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها، والصحيح إنّ المخبر به قد وقع، فإنّ البصرة قد غرقت مرتين. مرة في أيام القادر بالله، ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت بأجمعها ولم يبقَ منها إلاّ مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين (عليه السلام)، وجاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس، ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام، وخربت دورها وغرق كل ما في ضمنها، وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقين المعروفة عند أهل البصرة يتناقلها خلفهم من سلفهم)[1].

في شرح النهج لابن ميثم: قال: لما فرغ أمير المؤمنين (عليه السلام) من حرب الجمل خطب الناس بالبصرة فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال: يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة! يا جند المرأة وأعوان البهيمة، رغا فأجبتم، وعقر فانهزمتم أخلاقكم دقاق، ودينكم نفاق وماؤكم زعاق بلادكم أنتن بلاد الله تربة، وأبعدها من السماء، بها تسعة أعشار الشر، المحتبس فيها بذنبه، والخارج منها بعفو الله، كأني أنظر إلى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلاّ شُرَف المسجد كأنّه جؤجؤ طير في لجة بحر (وساق إلى قوله): إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها دوراً، وآجامها قصوراً، فالهرب! الهرب! فإنّه لابصرة لكم يومئذ. ثم التفت عن يمينه فقال: كم بينكم وبين الأبلة؟ فقال له المنذر بن الجارود: فداك أبي وأمي: أربعة فراسخ. قال له: صدقت، فوالذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) وأكرمه بالنبوة، وخصه بالرسالة، وعجل بروحه إلى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني أنْ قال: يا علي هل علمت أنّ بين التي تسمى البصرة والتي تُسمّى الأبلة أربعة فراسخ وسيكون في التي تسمى الأبلة موضع أصحاب العشور، يقتل في ذلك الموضع من أمتي سبعون ألف شهيد، هم يومئذ بمنزلة شهداء بدر. فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين، ومن يقتلهم؟ فداك أبي وأمي. قال: يقتلهم أخوان وهم جيل كأنّهم الشياطين، سود ألوانهم، منتنة أرواحهم، شديد كلبهم، قليل سلبهم، طوبى لمن قتلوه. ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان، مجهولون في الأرض، معروفون في السماء، تبكي السماء عليهم وسكانها، والأرض وسكانها - ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال: - ويحك يا بصرة من جيش لارهج له ولا حس! فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين، وما الذي يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت؟ وما الويح؟ فقال: هما بابان: فالويح باب رحمة، والويل باب عذاب يا بن الجارود، نعم، تارات عظيمة: منها عصبة يقتل بعضها بعضا، ومنها فتنة يكون بها إخراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وسباء نساء يذبحن ذبحاً، ياويل أمرهن حديث عجيب! ومنها أنْ يستحل بها الدجال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والأخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في الحمرة علقة، ناتئ الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية على الماء، فيتبعه من أهلها عدة من قتل بالأبلة من الشهداء، أنا جيلهم في صدورهم، يقتل من يقتل، ويهرب من يهرب، ثم رَجْفٌ، ثم قَذْفٌ، ثم خَسْفٌ ثم مَسْخٌ، ثم الجوع الأغبر، ثم الموت الأحمر وهو الغرق. يا منذر إنّ للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول لا يعلمها إلاّ العلماء: منها الخريبة، ومنها تدمر، ومنها المؤتفكة - وساق إلى أنْ قال - يا أهل البصرة إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف ولا كرم إلاّ وقد جعل فيكم أفضل ذلك، وزادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم: أنتم أقوم الناس قبلة، قبلتكم على المقام حيث يقوم الإمام بمكة، وقارئكم أقرأ الناس، وزاهدكم أزهد الناس، وعابدكم أعبد الناس، وتاجركم أتجر الناس وأصدقهم في تجارته، ومتصدقكم أكرم الناس صدقة، وغنيكم أشدُّ الناس بذلاً وتواضعاً، وشريفكم أحسن الناس خلقا وأنتم أكثر الناس جواراً، وأقلهم تكلفا لما لا يعنيه، وأحرصهم على الصلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار، وأموالكم أكثر الأموال، وصغاركم أكيس الأولاد، ونساؤكم أمنع النساء وأحسنهن تبعلاً، سخّر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحاً لمعاشكم والبحر سبباً لكثرة أموالكم، فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلاً وظلاً ظليلاً، غير أنّ حكم الله ماض، وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. يقول الله ﴿**إِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً**﴾ ثم ساق الخطبة إلى قوله - إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لي يوما وليس معه غيري: إنّ جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتى أراني الأرض ومن عليها وأعطاني أقاليدها وعلّمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون إلى يوم القيامة ولم يكبر ذلك عليَّ كما لم يكبر على أبي آدم علّمه الأسماء كلها ولم تعلمها الملائكة المقربون، وإنّي رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة، فإذا هي أبعد الأرض من السماء وأقربها من الماء، وأنها لأسرع الأرض خرابا وأخشنها ترابا وأشدها عذابا، ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا، ولياتين عليها زمان، وإنّ لكم يا أهل البصرة وما حولكم من

(1) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ج 1 ص 253.

القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه، وإني لأعلم موضع منفجره من قريتكم هذه، ثم أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أخفيت عنكم وعلمناها، فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحمة من الله سبقت له، ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد[1].

كان الإمام إذا جاء للصلاة يتخطّى الناس إلى القبلة، فأمر زياد بتحويل دار الأمارة من الدهناء إلى قبلة المسجد فكان الإمام يخرج من الباب في حائط القبلة. وهذا يعني أنّ البناء القديم ظلّ على حاله وأنّ دار الإمارة ملاصقة للجامع من جهة القبلة أي الجنوب الغربي وكان بينهما وبين الجامع باب يخرج منه الأمير إلى المسجد مباشرة دون أن يتخطّى المصلين. ولما تولّى عبيد الله بن زياد البصرة بعد أبيه قام بشراء دار نافع بن الحارث بن كلدة وكانت شمال المسجد لغرض إكمال تربيع المسجد وأرضى ابنه عبيد الله بن نافع بأن عوّضه قبل ذراع خمسة أذرع وفتح له في الحائط خوخه إلى المسجد فلم تزل الخوخه في حائطه حتى عصر المهدي العباسي.

وكان أكبر توسيع للمسجد في ولاية محمد بن سليمان بن علي العباسي سنة 160هـ أيام الخليفة العباسي المهدي حيث بلغ عدد المصلين عشرين ألفاً فأمر المهدي بتوسيع المسجد وذلك بشراء بعض الدور المحيطة به.

ذكر المؤرخ - ابن الفوطي - إنّ مسجد البصرة احترق سنة 624 هـ \ 1227م فقام الأمير شمس الدين بإعادة عمارته وأحضر الحجارة من جبل الأهواز، وجلب له خشب الصنوبر والساج من البحر، وأسكن فيه جماعة من الصوفية، وبنى دهليزا للجامع بحجرتين جعل في أحداهما كتباً.

وبعد مجيء المغول في 656 هـ / 1258 م توالت الفتن والحروب في البصرة نتيجة سوء تصرف عمال المغول فيها، وهجمات الأعراب البدو على البصرة، فاضطر أهلها إلى النزوح لأماكن أخرى حتى سنة 701هـ حيث تم خراب البصرة نهائياً، ولم تعد مدينة يمكن أنْ نجد عنها أخباراً فيما يتعلّق بأحوالها، وأخذت تعرف باسم البصرة القديمة، وظهرت مدينة أخرى سمّيت بالبصرة كانت سابقاً متنزهاً ومصيفاً للولاة والوجهاء في العصر العباسي، فابتنيت فيها الدور والقصور والمنازل وازداد عمرانها، وأخذ التحول إليها من البصرة القديمة. فأخذت تسمّى البصرة الحديثة تمييزاً لها عن البصرة القديمة.

كان للمسجد في الإسلام مهامٌّ متعددة منها: إقامة الصلاة وكونه مقراً للحكومة وفيه يتم توزيع العطاء، ويجري القضاء بين المتخاصمين، كما يعتبر مدرسة للتعليم.

(1) بحار الأنوار ج 57 ص 224، شرح نهج البلاغة ابن ميثم البحراني: ج 1 ص 289 290 الخطبة 13

ويكتسب الجامع أهمية دينية كبيرة عند المسلمين حيث يقصدونه في بعض المناسبات الدينية، لذا تنامت الحركة الثقافية في مسجد البصرة بعد زيارة الإمام علي (عليه السلام) للبصرة سنة 36 هـ، حيث ألقى عدداً من الخطب في هذا المسجد، ثم عين على البصرة عبد الله بن عباس المعروف بفقهه حيث أخذ يلقي دروساً في الفقه والتفسير والأخبار في مسجد البصرة

حيث تخرّج على يديه كبار التابعين كالحسن البصري، وتشكّلت نواة مدارس في الفقه والتفسير والأخبار والكلام، وبالإضافة لحلقات الدرس كانت تعقد مناظرات وأدّت بعض من هذه المناظرات لإيجاد اتجاهات فكرية جديدة كالمناظرة بين الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء والتي أدت إلى نشوء مذهب الاعتزال والمناظرة التي بين أبي علي الجبائي زعيم المعتزلة وبين تلميذه أبي الحسن الأشعري والتي أدت لنشوء مذهب الأشاعرة في علم الكلام.

وبجانب هذه الحلقات كانت حلقة أبي عمر بن العلاء والخليل الفراهيدي الذي وصف بأنه مفتاح العلوم ومعرفتها، ويونس بن حبيب، أمّا الأصمعي فكانت حلقته في اللغة والأخبار.

استمر هذا المسجد كجامعة مصغرة يستقبل طلبة العلم من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حتى نشأ من بعضهم أساطين من اختصاصات مختلفة ثم يعودون إلى بلادهم، وما زال الحال حتى مجيء المغول فلحق مدينة البصرة من الدمار والخراب بسبب الفتن وانعدام الأمن مما أدّى لهجرانها إلى ما يسمّى بالبصرة الحديثة[2].

أمّا السور الحالي للمسجد فقد قام ببنائه الحاج جبار أبو ستار والشيخ محمد الممطوري، وبلغ طوله (225 م) وعرضه 165 م، وهو خارج حدود المسجد الأصلي بـ(15 م تقريبا) حفاظا على الأثر القليل المتبقي من بقايا سور الجامع الأصلي القديم[3].

3- باب الثعبان في مسجد الكوفة

ثالث الآثار التي لا زالت قائمة مشاهد لأمير المؤمنين (عليه السلام)، الباب الرئيسي لمسجد الكوفة، حيث دخل منه الإمام (عليه السلام) في أول دخوله، إلى الكوفة وذلك لما شخص (عليه السلام) عن البصرة، واستعمل عليها عبد الله بن عباس، فلما انتهى إلى المربد التفت إلى البصرة، ثم قال: الحمد لله الذي أخرجني من

(2) من بحث للأستاذ جواد كاظم النصر الله

(3) ظ: مجلة ينابيع ع27، تحقيق قام به الاستاذ حيدر الجد حول الجامع ووصفه وصفا مسهبا

شر البقاع ترابا، وأسرعها خرابا، وأقربها من الماء، وأبعدها من السماء. ثم سار، فلما أشرف على الكوفة، قال: ويحك يا كوفان، ما أطيب هواءك، وأغذى تربتك، الخارج منك بذنب، والداخل إليك برحمة، لا تذهب الأيام والليالي، حتى يجيء إليك كل مؤمن، ويبغض المقام بك كل فاجر، وتعمرين، حتى إنّ الرجل من أهلك ليبكر إلى الجمعة فلا يلحقها من بعد المسافة.

وكان مقدمه الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين[1].

وكان (عليه السلام) في أول دخوله إلى الكوفة قد عاتب المتخلفين عنه في الجمل.

عن محمد بن مخنف قال: دخلت مع أبي على علي (عليه السلام) حين قدم من البصرة، وهو عام بلغت الحلم، فإذا بين يديه رجال يؤنبهم ويقول لهم: ما بطأ بكم عنّي وأنتم أشراف قومكم؟ والله لئن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة، إنكم لبور، والله لئن كان من شكّ في فضلي ومظاهرة عليّ إنّكم لعدو. قالوا: حاش لله يا أمير المؤمنين، نحن سلمك وحرب عدوك. ثم اعتذر القوم، فمنهم ذكر عذره، ومنهم من اعتلّ بمرض، ومنهم من ذكر غيبة. فنظرت إليهم فإذا عبد الله بن المعتم العبسي، وإذا حنظلة بن الربيع التميمي - وكلاهما كانت له صحبة - وإذا أبو بردة بن عوف الأزدي، وإذا غريب بن شرحبيل الهمداني. قال: ونظر علي إلى أبي فقال: لكن مخنف بن سليم وقومه لم يتخلفوا، ولم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً * وَلَئِنْ أَصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾.

باب الثعبان أو باب الفيل

لم يكن لجامع الكوفة أبواب عند تأسيسه، وإنما كانت ممرات محدودة تؤدي إليه من خلال الخندق المحيط به، ويبدو أنّ الجامع بني بالخشب واللبن بعد أشهر قليلة من استقرار المسلمين في الكوفة، وما الخندق الذي أشار إليه المؤرخون غير صورة أولية لتحديد مساحة الجامع بالنسبة لخطط القبائل المجاورة له وهذا البناء يمثل العمارة الأولى للجامع والتي بقيت طيلة العصر الراشدي وفي هذه الفترة كان للجامع أبواب عديدة منها ما عرف باسم القبائل المتاخمة للجامع أو باسم بعض المهن الحرفية، ومنها ارتبط اسمها بحوادث تاريخية معينة.

وفي العصر الأموي أي بعد العمارة الثانية والضخمة للجامع على عهد زياد شيدت الأبراج المرتفعة التي تدعم أسوار الجامع وأبقي في هذه العمارة على بعض الأبواب التي كانت في العمارة الأولى في نفس مواضعها الأولى وأغلق القسم الآخر وفق الطراز الجديد الذي اقتضته العمارة الجديدة.

وأهم أبواب الجامع التي بقيت في نفس موضعها الأول: الباب الرئيسية - باب الثعبان أو باب الفيل، والباب المرتبطة بقصر الإمارة من خلال الضلع القبلي.

وتقع باب الفيل أو باب الثعبان في طرف جدران المؤخرة الشمالي الشرقي لجامع الكوفة.

ويتألف المدخل بصورة عامة من إطار مستطيل الشكل يتوسطه عقد مدبب عند الوسط بناؤه من الآجر حوله زخرفة آجرية تتألف من وحدات نجمية اثنتي عشرة ناتئة بنسق هندسي متناظر حول عقد المدخل، وبين هذه الزخرفة وعقد المدخل زخرفة آجرية قوامها وحدات نجمية سداسية في الوسط حولها ستة مسبعات ترتسم حول رؤوس النجمة السداسية فتؤلف فيما بينها دوائر ملتحمة متداخلة والنجوم السداسية والمسبعات محفورة جميعها حفراً مخملياً ويفصل هذه الدوائر شريط رفيع وصفّ واحد من بناء الآجر - على رأسه - يشكل فوق عقد الباب حلية زخرفية جميلة، والزخرفة جميعها تعود على الأغلب إلى القرن السادس والسابع للهجرة (ق12 - 13م) ويتوسط المدخل بعد ذلك باب خشبي حديث الصنع مزيّن بالنقوش والزخارف.

أما فيما يخصُّ تسمية الباب فقد ورد أنها كانت تعرف أول الأمر بباب الثعبان نسبة إلى معجزة للإمام علي (عليه السلام) وممن ذكرها ابن شهر آشوب نقلها من كتاب فضائل الكوفة لعمر بن حمزة العلوي قال:

(كان أمير المؤمنين ذات يوم في محراب جامع الكوفة إذ قام بين يديه رجل للوضوء فمضى نحو رحبة الكوفة يتوضأ فإذا بأفعى قد لقيه في طريقه ليلتقمه فهرب الرجل من بين يديه إلى أمير المؤمنين فحدّثه بما لحقه في طريقه فنهض أمير المؤمنين حتى وقف على باب الثقب الذي فيه الأفعى فأخذ سيفه وتركه في باب الثقب وقال: إنْ كنتَ معجزة مثل عصا موسى فأخرج الأفعى، فما كان إلاّ ساعة حتى خرج يسارّه ثم رفع رأسه إلى الإعرابي وقال: إنك ظننت أني رابع أربعة لما قمت بين يدي، فقال: هو صحيح، ثم لطم على رأسه وأسلم)[2].

وهناك رواية أخرى تختلف عنها ذكرها الشيخ حسين بن عبد الوهاب - من أعلام القرن السادس للهجرة - قال بالإسناد إلى الإمام الصادق:

(1) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص 45.

(2) المناقب لابن شهر آشوب 134/2.

(كان أمير المؤمنين يخطب يوم الجمعة على المنبر إذ سمع عَدْوَ الرجال يتواقعون بعضهم على بعض، قال لهم مالكم؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ثعبان عظيم قد دخل ونفزع منه ونريد أنْ نقتله، فقال الإمام: لا يقربنّه أحدٌ منكم واتركوه فإنّه رسول جاء في حاجة فتركوه، فما زال يتخلل الصفوف حتى صعد المنبر، فوضع فمه في أذن أمير المؤمنين فنق في أذنيه نقيقاً ونزل عن المنبر فانساب بين الناس فالتفتوا فلم يروه، فسألوا الإمام عنه فقال: هذا رسول من الجن وقد اختلفوا في أشياء وأنفذوه إليّ فجاء وسألني عنها وأخبرته الجواب)[1].

وقد ورد ذكر هذه الحادثة في الكثير من الشعر، ومن ذلك ما قاله الورّاق:

علي مناجي الأفعوان وجيشه ... حواليه من جاثٍ إليه وَجُثَّمِ[2]

وقال ابن علوية:

أو يعلمون وما البصير كما العمي ... تأويل آية قصة الثعبان

إذ جاء وهو مراتب في منبر ... يعطي العباد مبارك العيدان[3]

وقال ابن عضد الدولة:

من كلّم الثعبان إذ كلّمَه ... والليث قد كلّمه ليث الشرى[4]

وقال آخر:

وجاءه الجان على منبر ... الكوفة يسعى سعي متأثر[5]

أمّا: لماذا عرفت الباب باب الفيل:

فهذا موضع اختلاف أيضاً وأثبت الروايات عند البلاذري في تعليل نسبة الباب إلى الفيل، ما ذكره عن أبي مسعود الكوفي، أنّه قال (حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل الحضرمي عن مشائخ من أهل الكوفة: إنّ المسلمين لما فتحوا المدائن أصابوا بها فيلاً، وقد كانوا قتلوا ما لقيتهم قبل ذلك من الفيلة، فكتبوا فيه إلى عمر فكتب إليهم: بيعوه إنْ وجدتم له مَباعا، فاشتراه رجل من أهل الحيرة فكان عنده يريه للناس ويجلله ويطوف به في القرى، فمكث عنده حيناً ثم أنّ أمّ أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط امرأة المغيرة بن شعبة - وهي التي خلف عليها زياد بعده - أحبّت النظر إليه وهي تنزل دار أبيها فأتى به ووقف على باب المسجد الذي يدعى اليوم باب الفيل فجعلت تنظر إليه ووهبت لصاحبه شيئا وصرفته، فلم يخطُ إلاّ خطاً حتى سقط ميتاً فسمي الباب باب الفيل، وقد قيل: إنّ الناظرة إليه امرأة الوليد بن عقبة بن أبي معيط)[6].

(وذكر هذا الخبر الطبري باختصار وهو يتحدث عن أم أيوب هذه قال: كانت تحت المغيرة بن شعبة بالكوفة فلما مات المغيرة تزوجها زياد بن أبيه وهي حدثة. فكان زياد يأمر بفيل كان عنده، فيوقف، فتنظر إليه أم أيوب، فسمي باب الفيل)[7].

وإنّ ذلك حدث سنة 42هـ.

ومن الآراء الأخرى التي تعلّل تسمية الباب باب الفيل (إنّ ساحراً أرى الناس أنّه أخرجَ من هذا الباب فيلاً على حمار وذلك باطل)[8]

وقيل: (الإجانة التي في المسجد حُملت على فيل وأُدخلت من هذا الباب فسمي باب الفيل) (4)[9].

وقال بعضهم (إنّ فيلاً لبعض الولاة اقتحم هذا الباب فنسب إليه)[10].

وقيل: إنّ الأمويين كرهوا المعجزة التي سميت لأجلها الباب باب الثعبان فأرادوا أنْ يصرفوا عنها أنظار الناس فربطوا بالباب فيلاً فعرف بباب الفيل.

والمدخل الحالي لباب الثعبان أُجريت عليه تعميرات عديدة عبر عشرات السنين والوضع الماثل الآن أُجري سنة (1374هـ - 1955م) حيث زُيّن المدخل المحيط بباب الفيل بالقاشاني

وهو مسقوف عند الوسط بآجر مزخرف، وعلى هيئة وحدات، تتألف كل واحدة منها من نجوم اثني عشرية، ذات نسق هندسي متناظر، ويشاهد الداخل زخارف آجرية بسيطة، تتألف من وحدات على هيئة نجوم سداسية يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع الهجريين.

وكُتبَ عليه آيات قرآنية وأحاديث مختلفة، من ذلك قوله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾ وتحتها على جانبي قمة العقد المدبب زخارف متنوعة غاية في الفن والجمال وفي وسط كلّ جانب عبارات تزيّن النقوش، فعلى اليمين حديث لرسول الله (ﷺ) وهو قوله (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها) وفي أعلى يمين الباب كتبت سطور عن فضل مسجد الكوفة جاء فيها (باسمه تعالى، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، هذا أحد المساجد

(1) عيون المعجزات /13

(2) مناقب آل أبي طالب: 2 / 88، مدينة المعاجز: 1 / 139 ح 78، بحار الأنوار: 39 / 178 ح 78.

(3) مناقب آل أبي طالب: 2 / 88، مدينة المعاجز: 1 / 139 ح 78، بحار الأنوار: 39 / 178 ح 78.

(4) المناقب لابن شهر آشوب 134/2.

(5) المناقب لابن شهر آشوب 134/2.

(6) المناقب لابن شهر آشوب 33/2

(7) المناقب لابن شهر آشوب 33/2

(8) فتوح البلدان /352.

(9) تاريخ الطبري 180/5.

(10) فتوح البلدان / 253

الأربعة التي تشد إليها الرحال، ويستحب فيها الاعتكاف، وقد قال أمير المؤمنين في حديث عنه: (إنّ مسجد الكوفة يشفع لمن يصلي فلا تهجروه، وتقرّبوا بالصلاة فيه، وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبواً على الثلج)، وعن الإمام الباقر (عليه السلام): (الصلاة في مسجد الكوفة تعدل بألف صلاة في غيره من المساجد).

وتعلو المدخل مأذنة حديثة، شيّدت سنة 1956م، مكان المأذنة القديمة التي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع الهجريين، ويبلغ ارتفاعها 12 متراً.

وكتب على أعلى يسار الباب من الجهة اليسرى لمحات من تاريخ الجامع والعمارات المارة عليه وهي:

إنّ هذا الجامع الشريف أول مسجد تأسس في العراق[1]، في عهد الفتوحات الإسلامية الأولى سنة 17هـ وكان الحكّام يتعاهدونه بالعمارة والإصلاح في عهد العباسيين وآل بويه والإليخانية والصفوية وآل عثمان إلى أنْ تداعمت عمارته القديمة أوائل القرن الثالث عشر، فسعى بتصليح سوره الحالي وما فيه من المقامات العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم الطبطبائي، وقد تم تجديد بابه هذا وإصلاحه، والملوك والسلاطين يتعاهدونه داخله وخارجه... الخ)

وكتب تحت كل من هاتين الكتابتين من الجانبين الدعاء الوارد في أعمال مسجد الكوفة والذي يُقرأ عادة قبل الدخول إلى المسجد من باب الفيل وأول الدعاء بعد البسملة: (السلام على مولانا أمير المؤمنين..)

ومما كتب أيضاً على واجهة باب الفيل هذه الأبيات للشيخ محمد علي اليعقوبي (المتوفى سنة 1385):

زر حمى مسجد تجلت من ... الله عليه قدسية ومهابه
فيه طابت عراص كوفان كالبيت ... غدت فيه مكة مستطابه
ليس للقائمين فيه سوى الأجر ... وما للداعين إلاّ الإجابه
عُجّ بمحراب حيدر فيه واسأل ... عنه إنْ أسدل الظلام حجابه
حوله المنبر الذي في ذراه ... عرف الناس من فنون الخطابه
ثم عرِّج لمرقد ابن عقيل ... تجد الليث رابضا وسط غابه
لُذْ به واستجِرْ بأعتاب بابٍ ... فَتَحَ الله للهدى فيه بابه

وبمناسبة تجديد المدخل هذا فقد أرخ سنة التجديد عدد من الشعراء منهم الشيخ علي البازي في تاريخين شعريين، الأول:

ذا مسجد الكوفة من عهود ... قديمة أُسِس في المدينه
كعبة قدس والصلاة فيه ... كحجة مبرورة ثمينه
وبابه جدد مذ تداعى ... بفكرة ثاقبة رصينه
بخير عهد فيه شبل غازي ... يرعاه في رعاية حصينه
مسجدها للسائلين أرّخْ ... (يجلب للناظرين زينه)[2]

وقال في الثاني:

ذا مسجد الكوفة خير مسجد ... فرض على كل الورى تقديسه
إنْ رمَت أنْ تعرف ما تأريخه ... (فمسجد على التقى تأسيسه)

وقال السيد مرتضى الوهاب الكربلائي:

دون مصلّى المرتضى المساجد ... والكلم الطيِّب منه صاعد
أبوابه للقاصدين فُتّحَتْ ... حطت على أعتابها المقاصد
خلّد باني بابه مؤرخا ... (في مسجد الكوفة باب خالد)

وقال السيد محمد الحلي النجفي 1374هـ:

قد جددوا ووسعوا ... باباً لأسمى معبد
مسجد كوفان وما ... وى ركّعٍ وسُجَّدِ
لم يَدرِ مَن ينظره ... بعين حرٍّ نَيقَدِ
أمفخر التاريخ ... (أم منظر باب المسجد)

وللدخول منه إلى المسجد أعمال تعبدية منها أنْ تقول:

الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ هذا مَقامُ العائذ بالله وَبِمُحَمَّد حَبيب الله صلّى الله عَلَيْه وَآله وَبِوِلايَة أمير المُؤْمنينَ وَالأئمَّةَ المَهْديِّينَ الصَّادقينَ النَّاطقينَ الرَّاشدينَ الَّذينَ أَذْهَبَ الله عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهيراً رَضيْتَ بِهِمْ أئمَّةً وَهُداةً وَمَوالِيَ، سَلَّمْتُ لأمْر الله لاأُشْرِكُ بِه شَيْئاً وَلا أَتَّخِذُ مَعَ الله وَلِيّاً كَذَبَ العادلُونَ بِالله وَضَلُّوا ضَلالاً بَعيداً، حَسْبِيَ الله وَأَوْلياء الله أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ الله وَحْدَهُ لاشَريكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلّى الله عَلَيه وَآله وأنْ علياً وَالأئمَّة المَهْديِّينَ مِنْ ذُرِّيَّته عَلَيْهِمُ، السَّلامُ أَوْلِيائي وَحُجَّةُ الله عَلى خَلْقه.

4- بيت الإمام علي في الكوفة

رابع الآثار الباقية هو البيت الماثل الآن وسط الكوفة قرب المسجد أمام قصر الإمارة، فإنّ الإمام (عليه السلام) لما دخل الكوفة قيل له: يا أمير المؤمنين، أتنزل القصر؟، قال: لا حاجة لي في نزوله، ولكني نازل الرحبة

ثم أقبل حتّى دخل المسجد الأعظم، فصلّى ركعتين، ثم نزل الرحبة، ثم إنّه (عليه السلام) مكث بالكوفة[3] ولم ينزل - كما تقدم- في قصر الإمارة بل نزل في دار جعدة بن عبيرة.

(1) مع ان اكثر المصادر تشير إلى ان جامع البصرة اسس قبل جامع الكوفة في سنة 14هـ

(2). ظ: د. الجبوري، تاريخ الكوفة الحديث ج1، الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة، ص 78

(3) نصربن مزاحم، وقعة صفين،، ص 8.

عن الأصبغ بن نباتة، أنّ علياً لما دخل الكوفة قيل له: أيّ القصرين ننزلك؟ قال: قصر الخبال لا تنزلونيه فنزل على جعدة بن هبيرة المخزومي[1].

عن عون بن عبد الله بن عتبة، قال: لما قدم عليٌّ الكوفة نزل على باب المسجد فدخل وصلّى، ثم تحوّل فجلس إليه الناس، فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة، فقال قائل: استأثر الله به. فقال: إنّ الله لا يستأثر بأحد من خلقه، وقرأ: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. قال: فلما لحق الثقل قالوا: أيّ القصرين تنزل؟ فقال: قصر الخبال لا تنزلونيه[2].

فرغم وجود قصر الإمارة فيها شيد مع بنائها إلاّ أنّ الإمام علياً (عليه السلام) المعروف بزهده وتواضعه، اختار أنْ ينزل في بيت أخته أم هاني (زوجة هبيرة المخزومي) والذي يقع في رحبة مسجد الكوفة والتي سميت فيما بعد برحبة علي، وكان البيت الذي اشتراه الإمام فيما بعد بسبعين دينارا يقع قبالة باب السدة من مسجد الكوفة.

يقع هذا البيت إلى جانب مسجد الكوفة قرب قصر الإمارة على مسافة حوالي (100) متر تقريباً من الركن الجنوبي الغربي من مسجد الكوفة، وهو دار متواضعة ذات بناء بسيط جداً عهدناه من طريقة حياة الإمام وزهده (عليه السلام) بعيداً عن حياة القصور والملوك وزخرف الدنيا، إذ استقر في هذه الدار وهي لأخته (أم هانئ) زوجة هبيرة المخزومي لقربها من المسجد، بعد أنْ رفض البقاء في دار الإمارة حين قدومه إلى الكوفة في شهر رمضان سنة (36هـ)، أو حتى بناء دار جديدة له.

وذكر ابن بطوطة[3] الرحالة في رحلته التي هي في حدود السبعمائة من الهجرة، وهو من العلماء الخبيرين، وقد ساح في البلدان إلى أنْ وصل إلى مدينة الكوفة فقال في ذكر المحراب ما نصه: وفي ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنّه بيت نوح، وبإزائه بيت يزعمون أنّه متعبد إدريس، ويتصل بذلك فضاء متصل بالجدار القبلي من المسجد يقال: إنّه موضع إنشاء سفينة نوح (عليه السلام) وفي آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب والبيت الذي غسل فيه، ويتصل به بيت يقال أيضا أنّه بيت نوح (عليه السلام).

وللبيت مدخل واحد يطل على ساحة الدار المطلة على حجرات الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) ومكتبتهما ومصلاهما، فضلاً عن حجرة تغسيله بعد استشهاده (عليه السلام)، مع بئر للماء العذب يتبرك به الزائرون بالشرب والغسل ودفع بعض الأمراض إيماناً منهم ببركته.

إنّ أول ما يصادفك فيه ساحة صغيرة على يسارها غرفة صغيرة مقوسة السقف كتب عليها غرفة الحسن والحسين (عليهما السلام).

وعلى اليمين غرفة كبيرة كتب عليها: هذا مغتسل أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد استشهاده (عليه السلام)، يصلّي فيها الزوار ويقرؤون ما تيسَّر من القرآن والأدعية والزيارات قريباً من محراب كتب فوقه: هذا موضع جلوس الإمام الحسن (عليه السلام) عند وفاة والده (عليه السلام). وعلى يمين هذه الغرفة منفذ يؤدي إلى عدة غرف كانت لبنات الإمام عليّ (عليه السلام) ثم ينتهي البيت بغرفة فيها بئر ذكر أنّ الإمام (عليه السلام) قد حفرها، وهناك يناولك الخادم كأساً من ماء البئر لتشربه تبرّكاً.

ذكر العلاّمة السيد عبد الله شبّر في مزاره فقال: وأما بيت أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو وإنْ لم ترِدْ في زيارته والصلاة فيه رواية، إلاّ أنّه لما كان مشرَّفا بسكناه فيه، فالدعاء والصلاة فيه لا يخلوان من فضل عظيم، وقد وردت أخبار مطلقة في تعظيم مساكنهم ومشاهدهم.

هذا البيت الذي يتميّز ببساطته وتواضعه، مساحته الصغيرة 370م2 ويضم خمس غرف وتتوسطها باحة مكشوفة (أي أنّه ينتمي إلى العمارة العراقية) وفي الباحة بئر كان الإمام علي (عليه السلام) قد حفرها وعاش في هذا البيت مع الإمام علي (عليه السلام) ولداه الحسن والحسين وابنته زينب، كان لابد من وجود مكتبة انتهل منها الإمامان الحسن والحسين (عليهما السلام) المعارف والعلوم المختلفة؟ فضلا عن قراءة القرآن الكريم وتفسيره.

وقد جرت مؤخراً عليه عمليات الصيانة مع الاحتفاظ بتصميمه الأصلي واستخدام مواد البناء نفسها مع إضافة لا تؤثر على الأصل تستخدم لخدمة الزائرين الذين يتجاوزن الملايين سنوياً.

ففي 1385هـ/ 1966 م قام المحسن الحاج فاضل محمد غفوري البغدادي وبسعي هادي صالح شبع وإشراف الحاج شاكر شبع والشيخ راضي مارد بتشييد جبهته وباب المدخل

وفي عام 1966 م تمت صيانة وتغليف جدرانه الداخلية واستبدال أبوابه ونوافذة وتغليف القبة بقاشاني جديد[4].

---

(1) نصربن مزاحم، وقعة صفين،، ص 5.

(2) نصربن مزاحم، وقعة صفين،، ص 5، ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة:: ج 3 ص 105.

(3) هو شمس الدين - شرف الدين - أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المغربي، ولد سنة 703 بطنجة وتقلّب في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل مدينة دلهي واتصل بملكها وساح في الأقطار الصينية والتترية وأواسط أفريقية وبلاد السودان والأندلس، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان من ملوك بني مدين، وزار ضريح أمير المؤمنين (عليه السلام) سنة 725، واستغرقت رحلته 27 سنة وكان معاصراً لفخر المحققين ابن العلامة الحلي، وألفّ كتابه: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، ومات في مراكش سنة 779.
انظر: الدرر الكامنة: 3 / 480، أعلام الزركلي: 6 / 236.

(4) د. كامل الجبوري، مقال حول البيت في مجلة السفير 29 ص 10.

5- مسجد الإمام علي في النخيلة

في مدينة الكفل، وعلى بعد حوالي 22كم من الكوفة وعلى الطريق الواصلة بينها وبين مركز الحلّة تتراءى للمسافر وسط النخيل منارة إسلامية عتيقة قد اشرأبّت، هي منارة مسجد النخيلة.

. وإلى جانب هذه المنارة قبة بنيت على الطريقة السلجوقية هي قبة مرقد (ذو الكفل)، يعد أقدم معلم ديني وأثري في المنطقة..

النخيلة تصغير نخلة موضع من مواضع الكوفة القديمة هو اليوم لا يخرج عن حدود مدينة الكفل الحالية وكان يعرف قديما باسم (بر ملاحة) واليهود يسكنونها من عهد السبي البابلي الأول والثاني، ورد ذكر النخيلة كثيراً في العصر الإسلامي وهو الموضع الذي خرج إليه الإمام علي لما بلغه ما فعل بالأنبار من قتل عامله عليها وخطب خطبة مشهورة هناك لام فيها أهل الكوفة، وفيه حاور جمعاً من اليهود في مسائل مختلفة.

ومسجد النخيلة في محافظة بابل وبالتحديد في منطقة الكفل من المساجد الإسلامية التاريخية القديمة في العراق بني قبل أكثر من سبعة قرون.

وتشير المصادر التاريخية أنّ هذا المسجد سمّي بهذه التسمية نسبة لوجود نخيلات صغيرة كانت فيه. يعود تاريخه إلى عهد الإمام علي بن أبي طالب حيث بني المسجد في الموضع الذي صلّى فيه الإمام عند خروجه إلى صفين.

تم اكتشاف جزء من سور مسجد النخيلة عن طريق التنقيب فيما اكتشف الجزء الآخر من السور عن طريق مسح الرادار الأرضي من قبل فريق من وزارة العلوم والتكنولوجيا حيث قدرت مساحة المسجد بـ (7) آلاف متر مربع.

إنّ هذه المساحة غزتها البيوت والخانات والمقابر قبل أكثر من قرن وبالتحديد منذ عام 1860 إلى عام 1900 وبقيت هذه التجاوزات شاخصة ماحية معالم المسجد حيث قدرت عدد العقارات التي شيدت على مساحة المسجد بـ (50)

باشرت هيئة الآثار والتراث وبالتعاون مع المزارات بالبحث والتنقيب عن أسس المسجد فكانت النتائج استظهار 180 متراً تقريبا من سور المسجد فيما باشرت الأوقاف الشيعية بإسناد المئذنة واكتشاف الجزء المتبقي من السور

مسجد النخيلة ومنارته لا زالت قائمة مع شرفات المسجد الإسلامي القديم الذي لم يبق منه سوى جزء يسير من السور.. وتحمل المنارة كتابات إسلامية وفي مسجد النخيلة محراب في الموضع الذي صلّى فيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عند خروجه إلى صفين مرة. وعندما بلغه قتل عامله على الأنبار مرة ثانية وثالثة عند خروجه لحرب الخوارج في النهروان ماراً ببابل.

وقيل بأن اليهود قاموا بإزالة منبر كبير من الصخر كان موجوداً في المسجد وحفروا إلى جنبه حفرة كبيرة وأردوه فيها ثم سوّوا عليه التراب ولا يزال موجوداً تحت الأرض ثم إنّ اليهود حاولوا طمس الكتابات الموجودة في المسجد.

كما تشير المصادر التاريخية إلى أنّ العصر العثماني شهد محاولات من اليهود للاستيلاء على المكان، وإعطائه صفة يهودية بدلاً من المشاركة بين الديانات الثلاث، ونتيجة لذلك رفع بعض أهالي الكفل شكوى إلى السلطان العثماني، فأرسل الأخير لجنة للتأكد ميدانياً من وجود المنارة، التي تثبت أنّ المكان مقدّس لدى المسلمين أيضا، هذه الحادثة استفزّت المسلمين، فحدثت بعض المواجهات بين الطرفين، واستمر الخلاف إلى منتصف الخمسينات، إذ أنكر اليهود وجود المسجد، الذي يطلق عليه اسم (مسجد النخيلة)، ولم يملك المسلمون حينها أدلّة حسية على قدسية المكان سوى المنارة، التي ما كانت لتُبنى لولا وجود مسجد، إضافةً إلى ما ورد في كتب التاريخ.

إنّ مسجد النخيلة القديم هو اليوم البناية المتاخمة لبناية ضريح النبي حزقيال ذو الكفل وقد جدد بناء هذا المسجد ومشهد حزقيال أيام السلطان الإليخاني الجايتو خدابندا المتوفى سنة 716هـ ولهذا المسجد منبر ومحراب ومنارة قديمة وقد ازيلت هذه الآثار على أيدي اليهود في أواخر القرن الماضي حوالي سنة 1310هـ - 1892م عندما قامت اليهود بتجديدات واسعة في عمارة مشهد ذي الكفل، ومن أجزاء المشهد التي شملها التجديد والتعمير (المسجد القديم) وقد عمد اليهود إلى المنارة القائمة في هذا المسجد وهدموا نصفها الأعلى حتى لم يبق من المنارة إلاّ ثلاثة أمتار وكانت هذه المنارة آية في الزخرفة والنقوش الجميلة[1].

ذكر الشيخ حرز الدين يقول: مسجد النخيلة محراب مقام أدركتاه ورأينا رسمه في العهد العثماني، المشهور أنّه الموضع الذي صلّى فيه الإمام علي (عليه السلام) عند خروجه إلى صفين، وخرج إليه أيضاً عندما قتل عامله في الأنبار، وكذلك عند خروجه إلى حرب الخوارج في النهروان ماراً ببلد الحلة.

والمعروف عند مشايخنا والمعمرين أنّه كان في المسجد منبر كبير عال من الصخر، وقد حفر اليهود الفسقة جنبه حفيرة وأردوه فيها وسوّوا عليه التراب، ولا يزال موجودا تحت الأرض.

---

(1) الطريحي، النبي حزقيال سيرته ومشهده في بابل نشر بعضه في العدل، السنة 13 (1979) ثم نشر بصورة مستقلة في دمشق سنة 1981م /1401. وأيضا المساجد التاريخية في الكوفة، ص 160

وفي شرق المسجد منارة قديمة فخمة البناء كانت قائمة في سنة 1310 هـ نقش عليها كتيبة كوفية بخط عريض من الحجارة مستديرة على طول المنارة، الموجود منها في جانب الشرق الشمالي (احمد، محمد، علي، حسن، حسين) وعليها كتيبة أخرى مستديرة في رأس ثلثي المنارة بخط عربي في سطرين بينهما خط يطوق المنارة، وفي بعض جدران المسجد الشمالية تاريخ بنائه القائم ومن بناه، والموجود منه اليوم، بنى هذا البرج المشيد أبو الفرج المنصور...)

وقد أقام اليهود الأرجاس جداراً إلى جانب الكتيبة هذه في المسجد وضيّعوها بين الجدارين، والظاهر لا تزال الكتيبة موجودة لمن نقب عنها، كانت اليهود تأتي لزيارته في السنة مرة[1].

هي أشبه بآثار بناء العهد السلجوقي، ويظهر على المنارة شيء من الخط الكوفي الناتئ على طول المنارة، والموجود اليوم من الكتيبة عليها في الجانب الشرقي هذه الكلمات في السطر الثاني ((الإمام المعظم العادل منشئ العدل ومقرره وخارج..)) ومن السطر الأول كلمة ((السلطان)) وموضعها فوق كلمة ((وخارج)).

واليوم ليس لمسجد النخيلة عنوان يتميّز به سوى أنّ المأذنة هذه القائمة تقضي بأن تكون على طرف المسجد، ولم تزل أسوار ثلاثة قديمة عالية الجدران موجودة إلى هذا التأريخ، أما المنارة فتقع فيما يسمونه بـ((خان قريش))، والسور الثاني يسمونه ((خان النبي))، والثالث لم يسمّوه لنا، وهذه الآثار في ناحية الكفل ضمن لواء الحلة.

وفي أواخر العهد العثماني بالعراق تجمهرت الشيعة في قرية الكفل على طرد اليهود من قريتهم، يومئذ كان عميدهم الذي يحمل لواء المقاومة للهيود هو فضيلة الشيخ علي خيري زاهد النجفي المتوفى سنة 1320 هـ، المقيم في تلك القرية لتبليغ الأحكام الشرعية، وممثل بعض علماء النجف الأشرف: ويرى الشيخ المذكور بل والمسلمون أجمع أنّ من الواجب عليهم نفي اليهود عن القرية المسلمة منذ أنْ فتح المسلمون العراق من الرس وإلى يومنا هذا وتخليص مسجد النخيلة الإسلامي المعظم منهم، فتألّب اليهود الذين في العراق على الشيخ ولصقوا به التهم فلم تُجدِ شيئاً ثم دبّروا له وشاية الشمول للخدمة العسكرية التركيةَ عند والي بغداد وبعد حديث وزمن طويل أرسل الأتراك وفداً إلى قرية الكفل للنظر في هذا الحادث الخطير، وحلّ الوفد التركي ضيفاً على بعض اليهود أياماً، فأغروهم بالمال، والمغريات.. التي هي من عاداتهم إبرازها إذا عجزوا عن التوصل لحلّ مشاكلهم فكانت هي الشفيع المشفع.

ولذا أنكر الوفد العثماني أنّ في المنطقة أثراً إسلامياً، ولم تكن هناك ولا مسجد النخيلة.

وحدثني الثقة من موظفي الأتراك في النجف الأشرف أنّهم صوروا منظر القرية من خارجها فظهر في التصوير منارة المسجد الرامية في العلوّ وقبة القبر المخروطة، ثم قصّوا المنارة من التصوير الأول وسووه ثم صوّروه ثانية لم تكن فيه منارة المسجد، فصار التصوير الثاني شاهد حال للوفد.

ألا قبّحَ الله تلك الوجوه الممسوخة، كما برأ الإسلام من منتحلية الفجرة صنايع اليهود الأرجاس.

وقد أصبح إنكار منارة مسجد النخيلة في الكفل مثلاً سائراً في زماننا هو ((مثل منارة الكفل)) يضرب للشيء المرئي الثابت بالعيان والوجدان، والتباني على جحوده وإنكاره.

وفي إنكار منارة الكفل نظم الحجة الكبير السيد رضا الهندي بيتين هما:

عجبت لجحد الناس بيعة حيدر

وما كان قد وَصّى به سيّدُ الرسل

إلى أنْ أعاد الدهر تاريخ مثله

فأخفى عن الأبصار مأذنة الكفلِ[2]

لقد كتب فضيلة الشيخ عقيل الكرعاوي سادن المسجد كتابا قيّماً في شان منارة هذا المسجد بعد جهود مضنية في جمع المعلومات من المصادر المتعددة والنادرة.

6- قطارة الإمام علي (عليه السلام) في كربلاء

بين صخور كبيرة، كأنها سلسلة جبلية وعند إلتقاء طريق تليّن أو صخرتين ثمة قبة خضراء تعلو بناءً مربّع الشكل هو مكان (قطّارة) الإمام علي (عليه السلام)، الذي أصبح مزاراً لكل من يريد أنْ يزور المنطقة.

المكان عبارة عن حفرة صغيرة، لا تزيد مساحتها عن متر مربع ويقطر الماء من هذه الصخرة والغريب أنّه لا توجد في هذه المنطقة الصحراوية سوى هذه السنون الصخرية. إنّ هذه القطارة يقصدها الزائرون للتبرك بها، وتقع في وسط الصحراء غرب كربلاء بالقرب من بحيرة الرزازة، في شق صخري عميق ينزل إليه بأكثر من سبعين درجة، ولا يزال الماء يتدفق داخل وحول القطارة، ويشرب منه الزائرون ويتبرك به الناس، وهو ماء عذب رغم أنّ مستوى ماء القطارة أوطأ من مستوى بحيرة الرزازة المعروفة بملوحتها.

(1) حرز الدين، مراقد المعارف: ج1 ص 394

(2) حرز الدين، مراقد المعارف: ج1 ص 394، الهامش لنجل المؤلف

أصل خبر هذا الأثر

يذكر ابن شهراشوب: عن أهل السير، عن حبيب بن الجهم وأبي سعيد التميمي (وأبي سعيد عقيصا) والنطنزي في الخصائص، والأعثم في الفتوح والطبري في كتاب الولاية بإسناد له عن محمد بن القاسم الهمداني، وأبو عبد الله البرقي، عن شيوخه، عن جماعة من أصحاب علي (عليه السلام) أنّه نزل أمير المؤمنين (عليه السلام) بالعسكر عند وقعة صفين (في أرض بلقع) عند قرية صندوداء. فقال مالك الأشتر: تنزل الناس على غير ماء؟! فقال: يا مالك إنّ الله سيسقينا في هذا المكان، احتفر أنت وأصحابك، فاحتفروا فإذا هم بصخرة سوداء عظيمة فيها حلقة لجين، فعجزوا عن قلعها وَهُم مائة رجل، فرفع أمير المؤمنين (عليه السلام) يده إلى السماء وهو يقول: طاب طاب يا عالم يا طيبو ثابوثة شميا كويا جانوثا توديثا برجوثا آمين آمين رب العالمين رب موسى وهارون، ثم اجتذبها فرماها عن العين أربعين ذراعا، فظهر ماء أعذب من الشهد، وأبرد من الثلج، وأصفى من الياقوت، فشربنا وسقينا (دوابنا)، ثم ردَّ الصخرة وأمرنا أنْ نحثوا عليها التراب. فلما سرنا غير بعيد قال: من منكم يعرف موضع العين؟ قلنا: كلّنا. فرجعنا مكانها فخفي علينا، وإذا راهب مستقبل من صومعته، فلما بصر به أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أنت) شمعون؟ قال: نعم، هذا اسم سمّتني به أمي، ما اطلع عليه (أحد) إلاّ الله ثم أنت. قال: وما تشاء يا شمعون؟ قال: هذه العين واسمه، قال: هذا عين زاحوما وهو من الجنة، شرب منها ثلاثمائة وثلاثة عشر وصيّاً، وأنا آخر الوصيين شربت منه. قال: هكذا وجدت في جميع كتب الإنجيل، وهذا الدير بُني على (طلب) قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، ولم يدركه عالم قبلي غيري، وقد رزقنيه الله، وأسلم. وفي رواية أنّه جُبّ شعيب: ثم رحل أمير المؤمنين (عليه السلام) والراهب يقدمه حتى نزل صفين، فلما التقى الجمعان كان أول من أصاب الشهادة، فنزل أمير المؤمنين (عليه السلام) وعيناه تهملان وهو يقول: المرء مع من أحبَّ، الراهب معنا يوم القيامة. وروى هذا الحديث ابن بابويه في أماليه: قال: حدّثنا محمد بن علي ماجيلويه – رحمه الله – قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، قال: حدثني أبو الصلت عبد السلام بن صالح، قال: حدّثني محمد بن يوسف الفريابي، عن سفيان، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن حبيب بن الجهم. ورواه أيضاً صاحب ثاقب المناقب: عن سفيان الثوري، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن حبيب بن الجهم إلاّ أنّ في روايتهما زيادة على الأولى وبعض الاختلاف والمحصل حاصل في الروايات[1].

(1) مناقب آل أبي طالب: 2: 291 وعنه البحار: 41: 278 ح 4. وأمالي الصدوق: 155 ح 14 وعنه البحار: 33: 39 ح 381 باختلاف والثاقب في المناقب: 258 ح 4 باختلاف

أما السيد الرضي في الخصائص فقد قال: روي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لما أقبل من صفين مرّ في زهاء سبعين رجلاً بأرض ليس فيها ماء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين ليس هاهنا ماء ونحن نخاف العطش. قالوا: فمررنا براهب في ذلك الموضع فسألناه: هل بقربك ماء؟ فقال: ما من ماء دون الفرات. فقلنا: يا أمير المؤمنين العطش وليس قربنا ماء. فقال: إنّ الله سيسقيكم، فقام يمشي حتى وقف في مكان (ضحضاح) ودعا بمساح، وأمر بذلك المكان فكنس، فأجلى عن صخرة، فلّما انجلى عنها قال: إقلبوها، فرمناها بكل مرام فلم نستطعها، فلما أعيتنا، دنا منها، فأخذ بجانبها فدحا بها فكأنها كرة، فرمى بها فانجلت عن ماء لم يُرَ أشدَّ بياضاً، ولا أصفى، ولا أعذبَ منه، فتنادى الناس الماء، فاغترفوا وسقوا وشربوا وحملوا. ثم أخذ (عليه السلام) الصخرة فردّها مكانها، ثم تحمل الناس فسار غير بعيد، فقال: أيّكم يعرف مكان هذه العين؟ فقالوا: كلّنا نعرف مكانها. قال: فانطلقوا حتى تنظروا، فانطلق من شاء الله منا فدرنا حتى أعيينا فلم نقدر على شيء، فأتينا الراهب فقلنا له: ويحك ألستَ زعمتَ أنّه ليس قبلك ماء، ولقد استثرنا ها هنا ماء فشربنا واحتملنا. قال: فوالله ما استثارها إلاّ نبيٌّ أو وصيَ نبيّ، قلنا: فإنّ فينا وصيُّ نبينا (صلى الله عليه وآله)، قال: فانطلقوا إليه فقولوا له: ماذا قال له النبي حين حضره الموت. قالوا: فأتيناه، فقلنا له: إنّ هذا الراهب قال: كذا وكذا. قال: فقولوا له: إن خبرناك لتنزلن ولتسلمن. فقلنا له. فقال: نعم. فأتينا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقلنا: قد حلف ليسلمنَّ. قال: فانطلقوا فاخبروه أنّ آخر ما قال النبي الصلاة الصلاة، إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان واضعا رأسه في حجري فلم يزل يقول: الصلاة الصلاة، حتى قبض. قال: قلنا له ذلك، فأسلم[2].

واورد هذه الكرامة البرسي قال: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لما سار إلى صفين أعوز أصحابه الماء فشكوا إليه الماء. فقال سيروا في هذه البرية واطلبوا الماء فساروا يميناً وشمالاً وطولاً وعرضاً فلم يجدوا ماء، ووجدوا صومعة وبها راهب، فنادوه وسألوه عن الماء، فذكر أنّه يجلب إليه في كل أسبوع مرة واحدة، فرجعوا إلى أمير المؤمنين وأخبروه بما قال الراهب. فقال (عليه السلام): ألحقوني. ثم سار غير بعيد، فقال: احفروا ها هنا، فحفروا فوجدوا صخرة عظيمة، فقال: اقلبوها تجدوا تحتها الماء، فتقدم إليها أربعون رجلاً فلم يحرّكوها، فقال (عليه السلام): إليكم عنها، فتقدم وحرّك شفتيه بكلام لم يعلم ما هو، ثم دحاها بالهواء ككرة في الميدان. فقال الراهب – وهو ينظر إليه وقد أشرفَ عليه –: من أينَ أنتَ يا فتى؛ فنحن أُنزل في كتابنا إنّ هذا الدير بني على البئر والعين وإنها لا يظهرها إلاّ نبيٌّ أو

(2) خصائص أمير المؤمنين ص 36

وصيّ نبيّ فأيهما أنت؟ فقال: أنا وصيّ خير الأنبياء، وأنا وصي سيد الأنبياء، وأنا وصي خاتم النبيين، (أنا) ابن عم قائد الغرّ المحجلين، أنا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. قال: فلما سمع الراهب نزل من الصومعة، وخرج ومشى وهو يقول: مدَّ يدك فأنا أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأنْ محمداً رسول الله، وأنَّ علي بن أبي طالب وصيه وخليفته من بعده، قال: ثم شرب المسلمون من العين وماؤها أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، فرووا منه، وسقوا خيولهم، وملؤوا رواياهم، ثم أعاد (عليه السلام) الصخرة إلى موضعها، ثم ارتحل من نحوها إلى ديارهم[1].

هذه الروايات نستظهر منها ثلاث حقائق:

أولها قدرة الإمام علي (عليه السلام) العلمية على معرفة الأشياء واستخدامه لمنطق الأرض وعلومها، وأنّه كان عليماً بعلوم بواطن الأرض وجيولوجيتها، بحيث عرف أنّ تحت هذه الصخرة ماءً، وهذا يعني أنّ العلم مفتاح الحلول.

والأمر الثاني إنّ أرضَ كربلاء مرّ بها التأريخ بجميع حقبه وإنّ فيها مسيحيين ولهم فيها دير وهذا ما يؤكد وجود أقدم كنيسة في الشرق الأوسط هناك،

وثالثهما: إنّ العراق كانَ ممّراً للعالم أجمع وأرض كربلاء أحد هذه الممرات إلى الشرق والغرب وإنّ الحياة كانت عظيمة وكبيرة.

وقد ذكر معجزة هذه العين الشاعر الكبير السيد الحميري (ت 173هـ) في قصيدته البائية المعروفة يقول:

ولقد سرى فيما يسير بليلة ... بعد العشاء بكربلا في موكبِ
حتى أتى متبتلاً في قائم ... ألقى قواعده بقاع مجدبِ
تأتيه ليس بحيث تلقى عامراً ... غير الوحوش وغير أصلع أشيبِ
في مدمج زلق أشم كأنّه ... حلقوم أبيض ضيّق مستصعبِ
فدنا فصاح به فأشرف ماثلاً ... كالنسر فوق شظيةٍ من مرقبِ
هل قرب قائمك الذي بوّئته ... ماء يصاب فقال ما من مشربِ
إلاّ بغاية فرسخين ومَن لنا ... بالماء بين نقا وقي سبسبِ
فثنى الأعنة نحو وعث فاجتلى ... ملساء تبرق كاللجين المذهبِ
قال اقلبوها إنّكم إنْ تقلبوا ... تروا ولا ترون إنْ لَم تقلبِ
فاعْصَوْصَبُوا في قلعها فتمنّعت ... منهم تمنُّعَ صعبةٍ لم تُركبِ
حتى إذا أعيتهُمُ أهوى لها ... كفّا متى تَرِدِ المغالبَ تغلبِ
فكأنّها كرةٌ بكف حزور ... عبل الذراعين رحابها في ملعبِ
فسقاهم من تحتها متسلسلا ... عذبا يزيد على الألذِّ الأعذبِ
حتى إذا شربوا جميعا ردّها ... ومضَى فخلّتَ مكانها لم يُقْرَبِ[2]

(1) الفضائل لشاذان: 104

اكتشاف الأثر

في ستينيات القرن الماضي عرفت منطقة عين التمر، بعد العثور على قبر (أحمد بن هاشم) الذي يعود بنسبه إلى الإمام علي وتم أيضاً التأكيد بأن القطارة هي إحدى كرامات الإمام (عليه السلام) وأطلق عليه: قطارة عليّ.

بعض المتمردين قاموا في سنة 2006 بتهديم هذا المشهد وطمره بالصخور وكذلك اقتلاع النخلة الملاصقة للقطارة والتي تعود هي الأخرى لمئات السنين.

رغم عدم إدراجها مزاراً يمكن أنْ يحظى برعاية الوقف الشيعي، حظيت قطّارة الإمام علي (عليه السلام)- أو (القطّارة) كما يسميها أهالي كربلاء المقدسة- ببركات أمير المؤمنين كونها تمثل معجزة من المعاجز التي تحققت على يديه الكريمتين.

تقع القطّارة على بعد (15كم) تقريبا إلى الغرب من مركز مدينة كربلاء، يوصلك إليها طريق معبّد بمسافة 3 كيلومتر تقريباً، يقع إلى يمين الشارع المؤدي لقضاء عين التمر، وما إنْ تدخل بذلك الطريق حتى يفاجئك منحدر صخري هائل يتوسطه شقٌّ عميق، وفي أسفل النهاية الحرجة لهذا الشق تقع القبّة الصغيرة التي أُنشئت على حفرة صغيرة، تعلوها صخرة يقطر منها الماء.

وتشير عدة وثائق تاريخية إلى هذا الأثر منها ما ذكره الشيخ المفيد (رحمه الله) في كتابه (الإرشاد)، وكذلك ما ذكره الشاعر (الحميري) الذي سكن هذه المنطقة في القرن الثالث الهجري بإحدى قصائده عن (قطارة علي) واعتبارها كرامة من كراماته (عليه السلام).

لكن هذا الموقع الذي يُعدّ أثريا وتراثيا يبدو عليه الحاجة الملحة للإعمار والبناء وتوفير أماكن راحة للزائرين حيث تتصف المنطقة عموما بقساوة طبيعتها الصحراوية.

وعن تاريخ إعمار القطارة وبناء القبة الموجودة حاليا عليها، يقول الحاج محسن هاشم نايف، خادم القطارة: بدأنا العمل برعاية هذا المزار في عام 1996 حيث شيّدنا غرفة تحيط بالقطارة وسلّماً ينزل إليها من الأعلى كونها تقع في أرضية واد ضيق وعميق، لكن مع حلول عام 2004 أقدمت عناصر إرهابية على هدم المكان.

(2) ديوان السيد الحميري، ص 91 تحقيق شاكر هادي شاكر المطبعة الحيدرية ط 1432 هـ

استراحة القوافل

إنّ هذه العين تروي كلَّ من يقطع الصحراء، وربما لم يكن أحد يعرف أنّها (قطّارة) الإمام علي (عليه السلام) إلاّ في سبعينات القرن الماضي، وكان الرعاة يمرون بقربها لأنّهم يدركون أنّ هناك ماء في المنطقة وهذه (القطّارة) تقطّر الماء من تحت الصخرة وتعيده إلى حوض تحتها، ولا أحد يعرف من أين يأتي الماء لأنّه لا ينقطع، وتشير الدلائل إلى أنّ المكان كان موحشاً وبالقرب من الصخرة كانت هناك نخلة وهي دليل الرعاة والمارين من القوافل والمسافرين وعابري السبيل.

وبعد مرور سنوات قليلة على سقوط النظام تم إكساء الطريق المؤدي إلى (قطّارة) الإمام (عليه السلام) وتم تشييد قبة إسلامية جميلة على المشهد فضلا عن الخدمات الصحية والماء وغيرها من الخدمات مثل إنشاء حديقة تمت زراعتها بأصناف كثيرة من الأشجار، فضلا عن أشجار النخيل، أما ماء السقي الذي يسقي المزروعات فقد تم حفر بئر ارتوازية لسقايتها.

دواء وشفاء وتبرك

في داخل عين الماء نصبت مقطورة كهربائية تسحب الماء إلى حوض خارجي يجمع فيه الماء، ويأخذ الزوار ما يريدون مجاناً للشفاء والتبرك، حيث حدّث السيد خادم (القطّارة) فقال: إنّ الزوار تأتي لمقام و(قطّارة) الإمام علي (عليه السلام) من كلِّ مدن العراق للزيارة والتبرك، ومشاهدة هذه المعجزة الإلهية على يد الإمام علي (عليه السلام) وتأخذ ماء كثيراً للشفاء من الأمراض وطلب الرزق والإنجاب، وقد استجاب الله (تعالى) ببركة الإمام علي (عليه السلام) للعديد من الزوار بهذا المكان المبارك.

آثار أهل البيت (عليهم السلام) في عين التمر

ناحية عين التمر من النواحي التابعة لمحافظة كربلاء وتسمى (شثاثا) وفيها من آثار أهل البيت (عليهم السلام) غير القطارة وهي مشهد (القدم) في منطقة عين التمر والتي تسمى بـ: (دوسة علي) أو (دفرة علي) وهي تقع في منتصف مركز الناحية وهي حجرة مستطيلة مسقفة بالجذوع في أرضها صخرة مثلثة الشكل تقريبا لونها ضارب إلى السواد وفيها انخفاض به أثر حافر الفرس، وبقربها حفرة مدورة في أرض الحجرة يبلغ قطرها (7) سنتمترات، يدّعي الموكل بهذا المكان بأنّ هذه الآثار تشير إلى وقفة وقفها الإمام علي (عليه السلام) في هذا المكان، فالانخفاض الذي في الصخرة هو اثر حافر فرسه والحفرة المدورة محل ارتكاز رمحه في الأرض.

وكذلك من الآثار مقام الإمام الحسين (عليه السلام): وهو حجرة صغيرة مشيّدة على طراز القباب العربية القديمة في الطرف الشرقي من الناحية، جدرانها مزيّنة بالمرايا والآيات القرآنية المخطوطة والملطخة بالحناء، وعلى بابها لوحة كتب عليها (مقام الحسين بن علي (عليه السلام)) يعتقد أهالي الناحية بأنّ الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) وصل إلى تلك البقعة فقام فيها وصلّى.

وحوض علي (عليه السلام): ويقع في الجهة الشمالية لشثاثا حجرة صغيرة يرى الداخل من بابها الخشبي الصغير في قاعها حوضاً مملوءاً بالماء عل شكل مستطيل طوله 25، 1 متر وعرضه 75 متراً وعلى جدران الحجرة المظلمة آيات قرآنية مخطوطة ومرايا، ويعتقد السكان أنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) وصل إلى تلك المنطقة وتوضّأ من ماء هذا الحوض، وتروى عن هذا الحوض وقدسيته قصص وحكايات كثيرة.

ومن معتقدات سكان عين التمر أنّ كل من تريد حفظ طفلها المولود حديثا من أي مكروه تذهب به إلى حوض علي في يوم الجمعة من كل أسبوع ولمدة سبع جمع متتالية، وهناك أيضاً في عين التمر مقام لبنات الحسن (عليه السلام).

ومنها: توثة علي (عليه السلام): شجرة توث يسمونها (توثة علي) وشجرة أُخرى يسمونها (سدرة علي) يحتمل بعض الكتاب أنّ هذه الأشجار هي من موقوفات أصحابها على أمير المؤمنين (عليه السلام) وفي سبيله وليس بالضرورة أنها من عصر الإمام (عليه السلام)، ويبلغ قطر هذه الشجرة قرابة المترين ونصف المتر، ويبدو جذعها وكانه مفروشاً، ويلاحظ الناظر أعلاماً صغيرة بيض، وخيوطاً، وخصلاً من الشعر معلقة في أغصانها اليابسة، كما أنّ الأجزاء المهشمة من الساق مكدسة عليها دون أنْ يجرا أحد من السكان على استعمالها لأي غرض كان، لقدسيتها عندهم، وتقع هذه الشجرة في بستان الحاج كاظم مهدي.

إنّ هذه الآثار لم تتوفر لدى الباحث عنها نصوص تاريخية معتبرة غير النقل الشفاهي، نعم ذكر ابن شهر آشوب من معاجز أمير المؤمنين (عليه السلام) وآثاره قال: من خوارق العادة ما كان من ضرب يده في الأسطوانة حتى دخل إبهامه في الحجر، وهو باق في الكوفة، وكذلك مشهد الكف في تكريت والموصل، (وفي) قطيعة الدقيق وغير ذلك. ومنه أثر سيفه في صخرة جبل ثور عند غار النبي (صلى الله عليه وآله)، وأثر رمحه في جبل من جبال بادية، وفي صخرة عند قلعة جعبر[1] فلا يبعد صحة ثبوت هذه الآثار والله العالم.

7- بيت الطشت في مسجد الكوفة

أحد مقامات الإمام علي (عليه السلام) الباقية في مسجد الكوفة وكان قديما سرداباً يمتد تحت مستوى أرض المسجد وينتهي من طرفيه بدرجين مفضيين إلى مدخل ومخرج، وأرضية بيت

(1) مناقب آل أبي طالب: 2 / 289 وعنه البحار: 41 / 276 ذح 2.

الطشت تنزل عن مستوى الأسس القديمة للمسجد نحو 65م. فيستدل أنّ أرضية الجامع الحالية أعلى من الأرضية الأصلية ثلاثة أمتار على أقل تقدير.

وقد سمّي هذا المكان بهذا الاسم ـ كما تقول الروايات ـ نسبة إلى حادثة لها طابع الكرامة الإلهية، حيث أمر الإمام عليّ (ﷺ) بعض النسوة باستعمال طشت في هذا المكان لإخراج علقة كبيرة نمت في بطن فتاة عذراء، خفي أمرها على ذوي الفتاة واتهموها جهلاً بأنها حُبلى.

ففي البحار عن كتاب الروضة وفضائل ابن شاذان يرفعه إلى عمار بن ياسر وزيد بن أرقم، قالا: كنا بين يدي أمير المؤمنين (ﷺ) وكان يوم الاثنين أربعة عشر خلت من صفر وإذا بزعقة عظيمة أصمت المسامع وكان علي على دكة القضاء فقال يا عمار: إيتني بذي الفقار، وكان وزنه سبعة أمنان وثلثي مَنّ مكي، فجئت به فانتضاه من غمده وتركه على فخذه وقال يا عمّار: هذا يوم اكشف فيه لأهل الكوفة الغمة يا عمار ايتني بمن على الباب قال عمار: فخرجت وإذا على الباب امرأة في قبة على جمل وهي تشتكي وتصيح يا غياث المستغيثين ويا بغية الطالبين ويا كنز الراغبين ويا ذا القوة المتين ويا مطعم اليتيم ويا رازق العديم ويا محيي كل عظم رميم ويا قديما سبق قدمه كل قديم يا عون من ليس له عون ولا معين يا طود من لا طود له يا كنز من لا كنز له إليك توجهت وبوليك توسلت وخليفة رسولك قصدت فبيّضْ وجهي وفرِّجْ عنّي كربتي، قال عمار وكان حولها ألف فارس بسيوف مسلولة قوم لها وقوم عليها فقلت: أجيبوا أمير المؤمنين أجيبوا عيبة علم النبوة قال فنزلت المرأة من القبة ونزل القوم ودخلوا المسجد فوقفت المرأة بين يدي أمير المؤمنين (ﷺ) وقالت يا مولاي يا إمام المتقين إليك اتيت وإياك قصدت فاكشف كربتي وما بي من غمّة فإنّك قادر على ذلك وعالم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فعند ذلك قال (ﷺ): يا عمار نادِ في الكوفة مَنْ أراد أنّ ينظر إلى ما أعطاه الله أخا رسوله فليأتِ المسجد، قال فاجتمع الناس حتى امتلأ المسجد بالناس فقام أمير المؤمنين (ﷺ) وقال: سلوني ما بدا لكم يا أهل الشام فنهض شيخ من بينهم قد شاب وعليه بردة يمانية فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين هذه الجارية ابنتي وقد خطبها ملوك العرب والآن قد فضحتني لأنها قد حملت بحمل لا أدري من أين هو فقال أمير المؤمنين (ﷺ)، ما تقولين يا جارية؟ فقالت يامولاي وحقّك ما علمت من نفسي خيانة قط وإنّي أعلم أنّك بنفسي أعلم بي منّي، قال عمار: فأخذ الإمام (ﷺ) ذا الفقار وصعد المنبر وقال: الله أكبر الله أكبر جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا، ثم قال: عليَّ بداية الكوفة فجاؤوا بها، فقال لها أمير المؤمنين: اضربي فيما بينك وبين الناس حجابا وانظري هذه الجارية عاتق أم لا، حامل أم لا، ففعلت ما أمر به (ﷺ) ثم قالت نعم يا سيدي هي عاتق حامل، فالتفت إلى أبي الجارية وقال: يا أبا الغضب ألست من قرية كذا وكذا من أعمال دمشق؟ قال وما هذه القرية؟ قال هي قرية تسمى أسعار قال بلى يا مولاي، فقال (ﷺ): مَنْ منكم يقدر على قطعة ثلج في هذه الساعة؟ قال يا مولاي الثلج في بلادنا كثير ولكن ما نقدر عليه هيهنا، فقال ع بيننا وبينكم مائتان وخمسون فرسخا قال نعم يا مولاي، قال (ﷺ): أيها الناس انظروا إلى ما أعطاه الله عليّاً من العلم النبوي الذي أودعه الله ورسوله من العلم الرباني قال عمار: فمدَّ يده من أعلى منبر الكوفة ورماها وإذا فيها قطعة ثلج يقطر الماء منها فعند ذلك ضج الناس وماج الجامع بأهله، فقال ع: اسكتوا فلو شئت أتيت بجبالها، ثم قال لها يا داية خذي هذه القطعة من الثلج واخرجي الجارية من المسجد واتركي تحتها طشتا وضعي هذه القطعة ما يلي الفرج فسترين علقة وزنها سبعمائة وخمسون درهما ودانقان، فقالت سمعا وطاعة لله ولك يا مولاي، ثم أخذتها وخرجت بها من الجامع وجاءت بطشت ووضعت الثلج كما أمرها الإمام فرأت علقة وزنتها الداية فوجدتها كما قال (ﷺ)، فأقبلت ووضعتها بين يديه، فقال (ﷺ) يا أبا الغضب خذ ابنتك فوالله ما زنت وإنما دخلت الموضع الذي فيه الماء فدخلت هذه العلقة في جوفها وهي بنت عشر سنين وكبرت إلى الآن في بطنها، فنهض أبوها وهو يقول: أشهد أنّك تعلم ما في الأرحام وما في الضمائر وأنت باب الدين وعموده قال فضج الناس[1]

أعمال بيت الطشت

وروي أنّ الصّادق (ﷺ) قد صلّى ركعتين في بيت الطّست.

ولهذه الدكة أعمال ذكر الشيخ القمي في مفاتيحه قال:، تُصلّي هناك ركعتين فإذا سلّمت وسبّحت فقُل: اَللّهُمَّ انّي ذَخَرْتُ تَوْحيدي اِيّاكَ وَمَعْرِفَتي بِكَ وَاِخْلاصي لَكَ وَاِقْراري بِرُبُوبِيَّتِكَ، وَذَخَرْتُ وِلايَةَ مَنْ اَنْعَمْتَ عَلَيَّ بِمَعْرِفَتِهِمْ مِنْ بَرِيَّتِكَ مُحَمَّد وَعِتْرَته صلّى اللهُ عَلَيْهِمْ لِيَوْمِ فَزَعي اِلَيْكَ عاجِلاً وَآجِلاً، وَقَدْ فَزِعْتُ اِلَيْكَ وَاِلَيْهِمْ يا مَوْلايَ في هذَا الْيَوْمِ وَفي مَوْقِفي هذا وَسَاَلْتُكَ ما زَكى مِنْ نِعْمَتِكَ وَازاحَةَ ما اَخْشاهُ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَالْبَرَكَةَ فيما رَزَقْتَنيه، وَتَحْصينَ صَدْري مِنْ كُلِّ هَمّ وَجائِحَة وَمَعْصِيَة في ديني وَدُنْيايَ وَآخِرَتي يا اَرْحَمَ الرّاحِمين[2].

(1) عيون المعجزات: 21

(2) مفاتيح الجنان، ص 700

8- مقام مشهد الشمس في بابل

مشهد الشمس أو مردّ الشمس أو ردّ الشمس تسميات متعددة لمكان واحد. لا يبعد إلاّ بضعة مئات من الأمتار عن منطقة باب الحسين في مركز مدينة الحلة عندها يمكنك أنّ تطالع من بعيد منارة المقام والزقورة المألوفة الشكل.

يقع في الشمال الغربي لمدينة الحلة وكذا غربي نهر الحلة بمسافة تقدر ب (1000) م عن النهر

ومنهم من أسماه (مردّ الشمس) وهي الرواية الأكيدة معتمدين على الرواية التي تقول أنّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حينما عاد من واقعة النهروان التي جرح فيها ولده (عمران) وأرتث - شارف على الهلاك - ومات بالقرب من مدينة بابل الأثرية ودفن قربها، وبعد أنْ عبر قسم من الجيش الفرات وتأخر قسم آخر فاتهم صلاة العصر فسألوا علياً (عليه السلام) أنْ يدعو الله ليردّ عليهم الشمس ليؤدوا ما فاتهم من الصلاة، فاستجاب الله مطلبهم على لسان الإمام علي (عليه السلام) وأدّوا صلاتهم جمعاً معه، فلذا أطلق على هذا المقام بمقام مشهد الشمس.

ومنارة المقام بنيت في العهد السلجوقي والذي تتميّز منائره عن العهود الأخرى بقرنصتها - مقرنصة - بقاعدة كبيرة تصغر كلما أرتفع بناء المنارة حتى تصل لقمّتها، وتختلف عن بقية المنائر بعدم وجود باحة للمؤذن بأعلاها كما في المنائر الإسلامية الأخرى، وهذا يعني عدم وجود الدرج الحلزوني الذي ذكر أعلاه، والناظر إليها من الداخل يجد أنها تشبه الغرف المسقفة إلاّ أنّ سقفها يرتفع تدريجياً ويصغر وصولاً لقمتها العليا، بزخرفة معمارية جميلة جداً، ويقول الباحثون في المنائر أنّ منارة مقام مشهد الشمس أحدى ثلاث منائر لا تزال قائمة لحد الآن.، اثنتان في بغداد منارة (سهروردي) ومنارة السيدة (زبيدة) ومنارة مقام مشهد الشمس في بابل.

في عهد محافظ بابل (هاشم قدوري) إبان النظام السابق عام 1969م أراد إزالة هذه المنارة بحجة بناء مجمّع سكني بالقرب منها، إلا أنّ ذكاء وفطنة مدير بلدية بابل المهندس والفنان المرحوم شوقي جابر شعابث، ووفد رافقه أقنعوا المحافظ بالعدول عن ذلك متخذين من حجة أنها أحدى ثلاثة منائر سلجوقية باقية ذريعة لذلك، وكان لهم ما أرادوا، بل أكثر حيث استحصل المرحوم شوقي جابر موافقة لترميم المنارة وكان له ذلك.

يعدّ هذا المقام واحداً من أهمّ العلامات المميزة في مدينة الحلة (90كم) إلى الجنوب من بغداد، ويقال أنّ أمير المؤمنين اختار هذه البقعة لغاية في نفسه وهي لعلمه بأنّ هذه البقعة كانت معبداً بابلياً لعبادة إله الشمس فأراد الإمام من اختياره هذه البقعة جَعْلَها مكاناً لعبادة الله سبحانه وتعالى.

إنّ هذا المكان يعدّ من المزارات المقدّسة حيث يقصده الزائرون من جميع أنحاء العالم وخاصة من الهند وباكستان وإيران للتبرّك والتقرّب إلى الله تعالى وله زيارة مخصوصة في آخر أربعاء من صفر، الذي يمثل نهاية الأحزان على استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) واخيه العباس (عليه السلام) وصحبة الميامين حيث تأتي إلى هذا المكان أعداد غفيرة من النساء يصل عددهن إلى آلاف النساء؛ مما تضطرّ السلطات المحلية في المحافظة إلى قطع الطريق في هذا اليوم، وهذه الزيارة هي جزء من تقاليد موروثة تقوم بموجبها النساء باستبدال ملابسهن السوداء اللواتي اتشحن بها طوال الأشهر الحرم بملابس أخرى ملونة أو يقمنَ في بعض الأحيان بجلب هذه الملابس معهنّ تبركاً بصاحب المكان ويطلبن النذور ولا يخلو هذا اليوم أيضاً من نساء أخريات أوفين بنذورهن وحصلن على مرادهن بتوزيع الحلويات والأطعمة على بقية الزوار لتكون دليلاً على تحقيق أمانيهن وقد تتعدّى هذه النذور، إلى هدايا عينية مثل الساعات والمراوح والسجاد لتكون جزءاً من الأثاث الخاص بالمقام، كما يشهد المقام توافد عدد أكبر من الزوار في عيد الغدير خاصة بالنسبة للبعض الذين لا يستطيعون الانضمام إلى أفواج المحتفلين بالغديرية في محافظة النجف.

تاريخ تشييد المقام ووصفه

يبلغ تاريخ هذا الأثر المعماري حوالي 950 سنة حيث تم بناؤه على الطراز السلجوقي بهندسة معمارية بديعة على شكل زقورة يبلغ ارتفاعها حوالي 25 مترا وهي بذلك لا تختلف في طرازها عن الزقورة الموجودة في مقام نبي الله ذي الكفل في منطقة الكفل في الطريق المؤدي إلى مدينة النجف الأشرف أو عن زقورة مرقد الست زبيدة في جانب الكرخ من بغداد لذا لا يستبعد أنّ الثلاثة بنيت في وقت واحد.

يتكون المقام من الداخل من قاعة كبيرة سقفت حديثا كانت في السابق حديقة دائرية الشكل يقال أنّها المكان الذي توضّأ فيه الإمام علي (عليه السلام) كما تحيط بهذه القاعة ستة أواوين يفضي أحدما من ناحية اليسار إلى باب جانبية والأخرى إلى قاعة رئيسية مساحتها 49 مترا ترتفع، إلى الأعلى بارتفاع الزقورة حتى تضيق في النهاية وهنا بإمكانك أنْ تلاحظ الهندسة المميزة التي بنيت بها الزقورة من الداخل والتي بنيت بنوع خاص من الطابوق مزدانة بشبابيك للإضاءة والتهوية هناك أيضا المحراب الذي صلّى فيه الإمام.

أمّا على يسار المقام وفي مكان مواجه نوعاً ما لباب المقام الرئيسية هناك البئر يقال أنّه البئر الذي حفره الإمام وتوضّأ منه حيث جرت العادة أنْ يقوم الناس بحفر الآبار في المكان الذي ينزلون فيه، وهذا البئر يشبه إلى حدٍّ كبير البئر الذي يقع في مرقد عمران بن علي (عليه السلام) الواقع في آثار بابل على بعد ميل واحد تقريباً من قرية الجمجمة وهو ليس ببعيد عن شط الفرات وكذلك يشبه البئر الذي وجد في مسجد براثا في بغداد والذي أظهره للوجود الإمام علي (عليه السلام) وصلّى في المسجد مع أصحابه، إلاّ أنّ هذا البئر لم يبق من ملامحه أي أثر، دفن في عهد النظام السابق ووضع فيه أنقاض الطابوق الحجري الذي رممت به الزقورة عندما انهار جزء منها عام 1972 نتيجة الزمن والقِدَم حيث تم إعادة ترميمها في ذلك الوقت إلاّ أنّ إعادة الإعمار لم تفلح في ردم الشرخ الكبير الذي بدا واضحاً في أحد جدران الزقورة من الداخل إضافة إلى لمسات التجديد التي بدت واضحة على أرضية وجدران المقام التي غلفت بالسيراميك بعد أنْ كانت ملطخة بالحناء والتي تمثل صورة واضحة لنذور النساء في هذا المكان حيث جاد بعمليات التجديد هذه وعلى التوالي عدد من أهل الخير

ثمة باب صغيرة في المقام تؤدي إلى مسجد ومقام الإمام علي وهو مصلّى للرجال كان يسمّى بمسجد الصاعدية.

معبد وثني تحوّل إلى مسجد للتوحيد والعبادة

ورد في كتاب فقهاء الفيحاء أنّ هذا المكان له قدسية قبل الإسلام وبعده فأن الملك البابلي نبوخذ نصر هو الذي أقام هذا المشهد إكراما لإله الشمس (شمش) لتمارس فيه الطقوس الدينية، وشاءت العناية الربانية أنْ يكون محلّ تقديس الشمس موضعا لتقديس خالق الشمس في مشهد الشمس على يد أمير المؤمنين وليس إنكارها إلاّ لدى من ينكر معاجز الأنبياء كانشقاق القمر وينفي كرامة الأولياء.

أمّا عن تاريخ المكان وعودة أصوله إلى زمن نبوخذ نصر والحضارة البابلية فقد ذكر الدكتور الباحث د. سعد الحداد عضو هيئة الإحياء والتحديث الحضاري في محافظة بابل عن هذا المكان فقال:

تاريخيا هذا المشهد المقدّس كان معبداً وثنياً لإله الشمس بناه نبوخذ نصر وهو والد الملك البابلي نبوخذ نصر وعند مجيء الإسلام تحوّل هذا المعبد المقدّس من معبد وثني إلى معبد يوحَّد فيه الله وحظي هذا المكان بكرامة ردِّ الشمس على أشهرَ الروايات على يد الإمام علي (عليه السلام) عند رجوعه من معركة صفين عام 37 هجرية.

إنّ التقاطع الذي يقطع الشكّ باليقين عن هذه المعلومات هو آثار تاريخية توجد خلف مقام رد الشمس لم يتم التنقيب عنها لحد الآن لأسباب تتعلق بأنّ سعر المتر الواحد عند التنقيب يبلغ 50 مليون دينار، في البداية صدمنا بهذا الرقم إلاّ إنني اعتقد الآن أنّه مبلغ يستحق المجازفة.

أما الزقورة فهي متأخرة البناء وليس لها علاقة بالمكان الذي نتحدث عنه ولكن هناك ما يتحدث عنه كبار السن عن وجود آثار تاريخية في أساس هذا المقام وهي بدون شك تعود إلى زمن نبوخذنصر.

وأضاف الأستاذ الحداد أنّه كان للمهندس والشاعر والخطاط المرحوم شوقي جابر المهمة الأصعب في التصدي لمحاولات هدم هذه القبة وهذا المقام إبان النظام السابق بحجة أنّها توشك على الإنهيار وتعريض حياة المواطنين للخطر حيث اقنع المسؤولين آنذاك بأنّ هذا الأثر سلجوقي تركي وليس فارسياً كما كان يشاع عنه لذلك كان له الأثر الكبير ليس في الحفاظ عليه فقط بل بإعادة ترميمه.

كما أكدّ أنّ هيئة الإحياء والتحديث الحضاري قدّمت مشروعا لصيانة وبناء مشروع متكامل لمشهد الشمس يشمل قاعات وبارك وطوارم إضافة إلى السياج الخارجي وقد قدّم هذا المشروع إلى مجلس الوزراء وتمت الموافقة عليه

رجوع الشمس لأمير المؤمنين (عليه السلام) مطلقاً

مرّ ذكر مسجد ردّ الشمس في المدينة المنورة وقد قال الشيخ المفيد في الإرشاد: إنّ الشمس رُدّت لأمير المؤمنين (عليه السلام) مرتين: المرة الأولى ذكرناها آنفاًفي الصفحة السابقة عن أسماء بنت عميس، وأما الثانية: فقد وقعت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لما أراد الإمام (عليه السلام) أنْ يعبر الفرات ببابل الحلة.

تشير المصادر التأريخية ومنها ما يذكره الشيخ المفيد (قدس) المتوفى سنة 413 هـ أنّه قال لما أراد الإمام علي (عليه السلام) أنْ يعبر الفرات انشغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورحالهم وصلّى (عليه السلام) بنفسه بطائفة صلاة العصر فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس ففاتت الصلاة كثيرا منهم فتكلّموا في

ذلك فلما سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى ردّ الشمس ليجمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها فدعا الله تعالى في ردّ الشمس عليه وكانت في الأفق على الحال الذي تكون عليها وقت العصر فلما سلّم القوم غابت الشمس فسمع لها وجيب شديد هال الناس فأكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار والحمد لله على النعمة التي ظهرت فيهم وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذكره في الناس.

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام): أنّه قال لأبي بصير: (رُدّتْ له مرة عندنا بالمدينة، ومرتين عندكم بالعراق)[1].

وأما الحسن البصري فيدَّعي: أنّ الشمس قد رُدّتْ، أو حُبِستْ لعلي (عليه السلام) مرات كثيرة قد تزيد على العشرين، فقد قال: (إنّ الشمس رُدّتْ عليه مراراً: منها: الذي رواه سلمان. ويوم البساط ويوم الخندق ويوم حنين ويوم خيبر ويوم قرقيسيا ويوم براثا ويوم الغاضرية ويوم النهروان ويوم بيعة الرضوان ويوم صفين وفي النجف وفي بني مازر وبوادي العقيق وبعد أُحُد، وروى الكليني: أنها رجعت بمسجد الفضيخ من المدينة، مرة بكراع الغميم. ومرة بعد وفاته ببابل وفي منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي بدر وفي مشربةأم إبراهيم، قرب مسجد الفضيخ[2].

أمّا رواة حديث ردّ الشمس: قد روي هذا الحديث عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) فراجع مصادر الشيعة الأبرار مثل البحار، وغيره.. وروي أيضاً عن ثلاثة عشر صحابياً، اثنا عشر منهم وردت روايتهم في مصادر أهل السنة، وهم: أمير المؤمنين ((عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام)، وأسماء بنت عميس، وأبو هريرة، وأبو ذر، وأم هانئ، وعبد خير، وأم سلمة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وسلمان، وأنس، وأبو رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله)[3]

ينقل عن الحسني عن كتاب (الإشارات إلى معرفة الزيارات) لأبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى في حلب عام 611 هجرية المطبوع في دمشق سنة 1953 قوله إنّ في مدينة الحلة مشهد الشمس (يقال رُدّتْ لحزقيال النبي (عليه السلام)

(1) الهداية الكبرى ص12.

(2) البحار ج 41 ص173 و174، عن مناقب آل أبي طالب ج1 ص359.

(3) تجد هذه الروايات في كتاب مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص96، وميزان الاعتدال ج3 ص170، ومشكل الآثار ج2 ص8، وج4 ص388 ـ 390، وكفاية الطالب ص381 ـ 388، وفتح الملك العلي ص16، و الرياض النضرة ص179 و180، والبداية والنهاية ج6 ص77 ـ 87، والمناقب للخوارزمي ص 306 ـ 307، ولسان الميزان ج5 ص76 و140 و301، كنز العمال ج12 ص349، وج11 ص524 وج13 ص152، والشفاء لعياض ج1 ص284، وينابيع المودة للقندوزي ص138، وتذكرة الخواص ص49، ونزل الأبرار ص 76.

ويقال ليوشع بن نون (عليه السلام) وقيل لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)

روايات رَدّ الشمس لأمير المؤمنين (عليه السلام)

رجوع الشمس لأمير المؤمنين (عليه السلام) في بابل وردت به عدة روايات في أكثر من طريق تتحد في المضمون وتختلف في اللفظ منها:

1- عن الفضيل بن يسار عن الباقر عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي صلوات الله عليهم قال: لما رجع أمير المؤمنين (عليه السلام) من قتال أهل النهروان أخذ على النهروانات وأعمال العراق ولم يكن يومئذ بنيت بغداد، فلما وافى ناحية براثا صلّى بالناس الظهر ورحلوا ودخلوا في أرض بابل وقد وجبت صلاة العصر، فصاح المسلمون: يا أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا وقت العصر قد دخل.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): هذه أرض مخسوف بها وقد خسف الله بها ثلاثا وعليه تمام الرابعة ولا يحل لوصي أنْ يصلي فيها فمن أراد منكم أنْ يصلي فليصل، فقال المنافقون: نعم هو لا يصلي ويقتل من يصلي، يعنون أهل النهروان، قال جويرية بن مسهر العبدي: فتبعته في مائة فارس وقلت:

والله لا أصلي أو يصلي هو ولأقلدنّه صلاتي اليوم، قال: وسار أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى أنْ قطع أرض بابل وتدلّت الشمس للغروب ثم غابت واحمر الأفق قال: فالتفت إلي أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: يا جويرية هات الماء فقدمت إليه الأداوة فتوضأ ثم قال: أذّنْ يا جويرية.

فقلت: يا أمير المؤمنين ما وجب العشاء بعد، فقال (عليه السلام): أذّنْ للعصر، فقلت في نفسي: أأذن للعصر وقد غربت الشمس؟ ولكن علي الطاعة، فأذّنت فقال لي: أقم ففعلت وإذ أنا في الإقامة إذ تحركت شفتاه بكلام كأنّه منطق الخطاطيف لم أفهم ما هو، فرجعت الشمس بصرير عظيم حتى وقفت في مركزها من العصر، فقام (عليه السلام) وكبّر وصلّى وصلّينا وراءه فلما فرغ من صلاته وقعت كأنها سراج في طست وغابت واشتبكت النجوم فالتفت وقال: أذّنْ أذان العشاء يا ضعيف اليقين[4]

2- ذكر ابن بابويه فيمن لا يحضره فقيه عن أبيه ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما قالا: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن أحمد بن عبد الله القروي عن الحسين بن المختار القلانسي عن أبي بصير عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري وعن أم المقدام الثقفية عن جويرية بن مسهر قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين علي

(4) عيون المعجزات: 2 ط. النجف، ومدينة المعاجز: 1 / 195.

بن أبي طالب من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا أرض بابل حضرت صلاة العصر، فنزل أمير المؤمنين (عليه السلام) ونزل الناس فقال علي (عليه السلام): أيّها الناس إنّ هذه أرض ملعونة قد عذّبت في الدهر ثلاث مرات، وفي خبر أنّها مرتين وهي تتوقع الثالثة، وهي إحدى المؤتفكات، وهي أول أرض عبد فيها وثن، وإنّه لا يحل لنبي ولا وصي نبي أنْ يصلي فيها فمن أراد منكم أنْ يصلي فليصل، فمال الناس عن جنبي الطريق يصلّون فركب هو بغلة رسول الله ومضى.

قال جويرية: فقلت: والله لأتبعنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ولأقلدنّه صلاتي اليوم، فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سورى حتى غابت الشمس فشككت فالتفت إليّ وقال: يا جويرية أشككت؟

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين فنزل عن ناحية فتوضأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسنه إلاّ كأنّه بالعبراني، ثم نادى: الصلاة فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير، فصلّى العصر وصلّيت معه فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إلي فقال: يا جويرية بن مسهر إنّ الله عز وجل يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ وإني سألت الله عز وجل باسمه العظيم فردَّ عليَّ الشمس. وروي أنّ جويرية لما رأى ذلك قال: وصيّ نبيّ وربّ الكعبة[1]

3 - السيد الرضي في الخصائص قال: روى محمد بن الحسين بن سعيد عن أحمد بن عبد الله عن الحسين بن المختار عن أبي بصير عن عبد الواحد بن المختار الأنصاري عن أبي المقدام الثقفي قال: قال لي جويرية بن مسهر قطعنا مع أمير المؤمنين (عليه السلام) جسر الصراة في وقت العصر فقال: إنّ هذه أرض معذبة لا ينبغي لنبي ولا وصي أنْ يصلّي فيها فمن أراد منكم أنْ يصلّي فليصلِّ قال: فتفرق الناس يصلّون يمنة ويسرة وقلت أنا: لأقلدنَّ هذا الرجل ديني ولا أصلّي حتى يصلّي قال: فسرنا وجعلت الشمس تستقل قال: وجعل يدخلني من ذلك أمر عظيم حتى وجبت الشمس وقطعت الأرض قال: فقال: يا جويرية أذّنْ، فقلت: أأذنُ وقد غابت الشمس؟ قال: فأذّنتُ ثم قال لي: أقِمْ فأقمتُ فلمّا قلت قد قامت الصلاة رأيت شفتيه تتحركان وسمعت كلاما كأنّه كلام العبرانية قال: فرجعت الشمس حتى صارت في مثل وقتها في العصر فصلّى، فلمّا انصرف هوت إلى مكانها واشتبكت النجوم.

4- وفي حديث آخر عن جويرية بن مسهر أنّه قال: فلمّا انقضت صلاتنا سمعت الشمس وهي تنحط ولها صرير كصرير رحى البزر حتى غابت وأنارت قال: فقلت: أنا أشهد أنك وصيُّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا جويرية أما سمعت الله يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾؟ فقلت: بلى، فقال: إني سألت ربي باسمه العظيم فردّها عليَّ.

5- عن أبي بصير عن أبي المقدام عن جويرية بن مسهر قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين بعد قتل الخوارج حتى إذا صرنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر، فنزل أمير المؤمنين (عليه السلام) فنزلت الناس فقال أمير المؤمنين: أيّها الناس إنّ هذه أرض ملعونة قد عذّبت من الدهر ثلاث مرات وهي إحدى المؤتفكات وهي أول أرض عبد عليها وثن، وإنّه لا يحلّ لنبي ولا وصيّ نبي أنْ يصلّي بها فأمر الناس فمالوا إلى جنبي الطريق يصلّون وركب بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمضى عليها، فقال جويرية: فقلت: والله لأتبعنّ أمير المؤمنين ولأقلدنَّه صلاتي اليوم فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سورى حتى غابت الشمس قال: فسبيته أو هممت أنْ أسبّه قال: فالتفت إلي وقال: جويرية، قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال: فنزل ناحية فتوضّأ ثم قام فنطق الكلام لا أحسبه إلا بالعبرانية ثم نادى بالصلاة فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير فصلّى العصر فصلّيت معه، فلمّا فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إليَّ فقال: يا جويرية إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ وإني سألت الله سبحانه باسمه الأعظم فردّ عليَّ الشمس[2].

6 - ثاقب المناقب عن داود بن كثير الرقي عن جويرة بن مسهر قال: لما رجعنا من قتال أهل النهروان مررنا ببابل فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إنّ هذه أرض معذبة قد عذبت مرتين، وقد هلك فيها مائة ألف ومائتان فلا يصلّي فيها نبيّ ولا وصيّ نبيّ فمن أراد منكم فليصلِّ العصر، قال جويرية: فقلت والله لأقلدنَّ الليلة ديني وأمانتي قال: فسرنا إلى أنْ غابت الشمس واشتبكت النجوم ودخل وقت العشاء الآخرة، فلما خرجنا من أرض بابل نزل صلوات الله عليه عن البغلة ثم نفض التراب عن حوافرها ثم قال لي: يا جويرية انفض التراب عن حوافر دابتك قال:

ففعلت، ثم قال لي: يا جويرية أذّنْ للعصر قال: فقلت: ثكلتك أمك يا جويرية ذهب النهار وهذا الليل، وأذنت للعصر فرجعت الشمس فسمعت لها صريرا كصرير البكرة حتى عادت إلى موضعها للعصر بيضاء نقية قال: فصلّى أمير المؤمنين صلوات الله عليه ثم قال: أذّنْ للمغرب يا جويرية فأذنت فرأيت الشمس راجعة كالفرس الجواد ثم صليت المغرب ثم قال: أذن للعشاء الآخرة ثم قلت: وصي محمد ورب الكعبة ثلاث مرات،

(1) من لا يحضره الفقيه: 1 / 204 / ح 611.

(2) المجلسي في البحار: 33 / 440 / ح 647.

لقد ضلَّ وهلك وكفر من خالفك[1].

7 – أبو علي الطبرسي في كتاب إعلام الورى، والمفيد في إرشاده رويا أنّه لما أراد أنْ يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من الصحابة بتعبير دوابهم ورحالهم وصلّى (عليه السلام) بنفسه في طائفة معه العصر، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتى غربت الشمس ففاتت الصلاة كثيرا منهم وفات الجمهور فضل الاجتماع معه فتكلموا في ذلك، فلمّا سمع كلامهم فيه سأل الله تعالى عز اسمه ردّ الشمس عليه لتجتمع كافة الصحابة على صلاة العصر في وقتها، فأجابه الله تعالى إلى ردها عليه وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليها وقت العصر، فلما سلّم بالقوم غابت، فسمع لها وجيب شديد هال الناس ذلك وأكثروا من التسبيح والتهليل والاستغفار، والحمد لله على نعمته التي ظهرت فيهم وسار خبر ذلك في الآفاق وانتشر ذكره في الناس[2]

8– قال نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) باسناده عن عبد خير قال: كنت مع علي أسير في أرض بابل وحضرت الصلاة (صلاة العصر)، قال: فجعلنا لاناتي مكانا إلاّ رأيناه أفيح من الآخر، قال: حتى أتينا على مكان أحسن مارأينا وقد واكدت الشمس أنْ تغيب، قال: فنزل علي ونزلت معه قال: فدعا الله فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر، قال: فصلّينا ثم غابت الشمس، وفي ذلك قال السيد الحميري:

ردت عليه الشمس لما فاته	وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها في وقتها	للعصر ثم هوت هوي الكوكب
وعليه قد ردت ببابل مرةً	أخرى وما ردت لخلق مغرب
إلا ليوشع أو له من بعده	ولردها تأويل أمر معجب

9- بئر الإمام علي في براثا ببغداد

مسجد براثا من المساجد المعروفة في بغداد، ويقع في طريق بينها وبين الكاظمية، وقد تحدث عنه الحموي في معجم البلدان ووردت عن أهل البيت (عليهم السلام) روايات من فضله، منها:

1 – عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: حدثني أنس بن مالك وكان خادم رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لما رجع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من قتال أهل النهروان نزل براثا وكان بها راهب في قلايته وكان اسمه الحباب، فلما سمع الراهب الصيحة والعسكر أشرف من قلايته إلى الأرض فنظر إلى عسكر أمير المؤمنين (عليه السلام) فاستفظع ذلك، ونزل مبادرا فقال: من هذا؟ ومن رئيس هذا العسكر؟ فقيل له: هذا أمير المؤمنين وقد رجع من قتال أهل النهروان. فجاء الحباب مبادرا يتخطّى الناس حتى وقف على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال:

السلام عليك يا أمير المؤمنين حقّاً حقّاً.

فقال (عليه السلام) له: وما علمك بأني أمير المؤمنين حقّاً حقّاً؟

قال له: بذلك أخبرنا علماؤنا وأحبارنا.

فقال (عليه السلام) له: يا حباب.

فقال له الراهب: ومن أعلمك باسمي؟

فقال (عليه السلام): أعلمني بذلك حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال له الحباب: مدّ يدك فأنا أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله وأنك علي بن أبي طالب وصيّه. فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) وأين تأوي؟ فقال: أكون في قلاية[3] لي ههنا فقال له أمير المؤمنين ((عليه السلام): بعد يومك هذا لا تسكن فيها، ولكن ابن ههنا مسجداً وسمّه باسم فبناه رجل اسمه براثا فسمّى المسجد ببراثا باسم الباني له. ثم قال (عليه السلام) من أين تشرب يا حباب! فقال: يا أمير المؤمنين من دجلة ههنا، قال (عليه السلام): فلم لا تحفر ههنا عينا أو بئرا فقال له: يا أمير المؤمنين كلما حفرنا بئرا وجدناها مالحة غير عذبة، فقال له أمير المؤمنين ((عليه السلام): احفر ههنا بئرا فحفر فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها، فقلعها أمير المؤمنين (عليه السلام) فانقلعت عن عين أحلى من الشهد وألذّ من الزبد. فقال (عليه السلام) له: يا حباب يكون شربك من هذه العين أما إنّه يا حباب ستُبنى إلى جنب مسجدك هذا مدينة وتكثر الجبابرة فيها ويعظم البلاء حتى أنّه ليركب فيها كل ليلة جمعة سبعون ألف فرج حرام، فإذا عظم بلاؤهم شدّوا على مسجدك بفطوة[4] لا يهدمه إلا كافر ثم بيتاً – فإذا فعلوا ذلك منعوا الحج ثلاث سنين واحترقت خضرهم وسلّط الله عليهم رجلاً من أهل السفح لا يدخل بلداً إلا أهلكه وأهلك أهله ثم ليعد عليهم مرة أخرى ثم يأخذهم القحط والغلاء ثلاث سنين حتى يبلغ بهم الجهد ثم يعود عليهم. ثم يدخل البصرة فلا يدع فيها قائمة إلا سخطها، وأهلكها، وأسخط أهلها، وذلك إذا عمرت الخربة وبني فيها مسجد جامع، فعند ذلك يكون هلاك البصرة، ثم يدخل مدينة بناها الحجاج يقال لها واسط فيفعل مثل ذلك ثم يتوجه نحو بغداد، فيدخلها عفواً ثم يلتجئ الناس إلى الكوفة، ولا يكون بلد أشدّ من الكوفة تشوش الأمر له ثم يخرج هو والذي أدخله بغداد نحو قبري لينبشه فيتلقاهما السفياني فيهزمهما ثم يقتلهما ويوجه جيشا نحو الكوفة، فيستعبد بعض أهلها، ويجئ رجل من أهل الكوفة فيلجئهم إلى سور فمن لجأ إليها أمن، ويدخل جيش السفياني إلى الكوفة فلا يدعون أحدا إلا قتلوه وإنّ الرجل منهم ليمر

(1) الثاقب في المناقب 253 / فصل 6 / ح 1..

(2) الإرشاد: 1 / 346. إعلام الورى: 1 / 351.

(3) القَلاَّيةُ عِنْدَ النَّصارَى، مُعَرَّب كَلاذَةَ، وهي مِن بُيوتِ عِبادَاتِهم. تاج العروس من جواهر القاموس ج 39 ص345

(4) الفطو: السوق الشديد.

بالدرة المطروحة العظيمة فلا يتعرض لها، ويرى الصبي الصغير فيلحقه فيقتله. فعند ذلك يا حباب يتوقع بعدها، هيهات هيهات وأمور عظام وفتن كقطع الليل المظلم فاحفظ عني ما أقول لك يا حباب[1].

2 - وروى جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: صلّى بنا علي (عليه السلام) ببراثا بعد رجوعه من قتال الشراة ونحن زهاء مائه ألف رجل فنزل نصراني من صومعته فقال: أين عميد هذا الجيش؟ فقلنا: هذا فأقبل إليه فسلم عليه ثم قال: يا سيدي أنت نبي؟ فقال: لا النبي سيدي قد مات قال: فأنت وصي نبي؟ فقال: نعم ثم قال: اجلس كيف سألت عن هذا؟ قال: إنما بنيت هذه الصومعة من أجل هذا الموضع وهو براثا وقرأت في الكتب المنزلة أنّه لا يصلّي في هذا الموضع بذا الجمع إلا نبي أو وصي نبي وقد جئت أنْ أسلم فأسلَم فخرج معنا إلى الكوفة فقال له علي (عليه السلام): فمن صلّى هاهنا؟ قال: صلّى عيسى بن مريم وأمه فقال له علي (عليه السلام): أفأفيدك من صلّى هاهنا؟ قال: نعم قال: الخليل (عليه السلام)[2].

3 - الحارث الأعور وعمرو بن الحريث وأبو أيوب عن أمير المؤمنين أنّه لما رجع من وقعة الخوارج نزل يمنى السواد فقال له راهب لا ينزل ههنا إلاّ وصيّ نبي يقاتل في سبيل الله، فقال علي (عليه السلام): فأنا سيد الأوصياء وصيّ سيد الأنبياء، قال: فإذا أنت أصلع قريش وصيّ محمد خذ علي الإسلام فإني وجدت في الإنجيل نعتك وأنت تنزل مسجد براثا بيت مريم وأرض عيسى، قال أمير المؤمنين: فاجلس يا حباب، قال: وهذه دلالة أخرى، ثم قال: فانزل يا حباب من هذه الصومعة وابن هذا الدير مسجدا، فبنى حباب الدير مسجدا ولحق أمير المؤمنين إلى الكوفة فلم يزل بها مقيما حتى قتل أمير المؤمنين فعاد حباب إلى مسجده ببراثا. وفي رواية أنّ الراهب قال: قرأت أنّه يصلي في هذا الموضع إيليا وصي البار قليطا محمد نبي الأميين الخاتم لمن سبقه من أنبياء الله ورسله في كلام كثير فمن أدركه فليتبع النور الذي جاء به ألا وانّه تغرس في آخر الأيام بهذه البقعة شجرة لا يفسد ثمرها. وفي رواية زاذان قال أمير المؤمنين: ومن أين شربك؟ قال: من دجلة، قال: ولم لم تحفر عينا تشرب منها؟ قال: قد حفرتها وخرجت مالحة، قال: فاحتفر الآن بئراً أخرى، فاحتفر فخرج ماؤها عذبا فقال: يا حباب ليكن شربك من ههنا ولا يزال هذا المسجد معموراً فإذا خربوه وقطعوا نخله حلّت بهم أو قال بالناس داهية[3].

4 - عن أبي الحسن الحذّاء، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إنّ إلى جانبكم مقبرة يقال لها: براثا، يحشر منها عشرون ومائة ألف شهيد كشهداء بدر[4].

5 - عن محمد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء، فسيروا وجنّبوا عنها، فإنّ الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة - إلى أنْ قال - فلما أتى يمنة السواد، وإذا هو براهب في صومعة له، فقال له: يا راهب أنزل هاهنا، فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك، قال: ولم؟ قال: لأنها لا ينزلها إلاّ نبي أو وصيّ نبيّ بجيشه، يقاتل في سبيل الله عزوجل، هكذا نجد في كتبنا، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا وصيُّ سيّد الأنبياء، وسيّد الأوصياء، فقال له الراهب: فأنت إذاً أصلع قريش، ووصي محمد (صلى الله عليه وآله)؟ فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): أنا ذلك. فنزل الراهب إليه، فقال خذ عليّ شرائع الإسلام، إني وجدت في الإنجيل نعتك، وأنّك تنزل أرض براثا بيت مريم، وأرض عيسى (عليه السلام)، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): قفْ ولا تخبرنا بشيء، ثم أتى موضعاً، فقال: إلكزوا هذا فلكزه فأتى أمير المؤمنين (عليه السلام) موضعاً فلكزه برجله (عليه السلام) فانبجست عين خرّارة، فقال: هذه عين مريم التي أنبعت لها، ثم قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشف فإذا بصخرة بيضاء، فقال (عليه السلام): على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها، وصلّت هاهنا، فنصب أمير المؤمنين (عليه السلام) الصخرة، وصلّى إليها، وأقام هناك أربعة أيام يُتمُّ الصلاة، وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة ثم قال: أرض براثا هذه بيت مريم (عليها السلام) هذا الموضع المقدس صلّى فيه الأنبياء، قال أبو جعفر محمد بن علي (عليهما السلام): ولقد وجدنا أنّه صلّى فيه إبراهيم قبل عيسى (عليهما السلام)[5].

قال الشاعر محمد العوني من شعراء القرن الرابع الهجري:

وقلت براثا وكان بيتاً لمريم	وذاك ضعيف في الأسانيد اعوج
ولكنه بيت لعيسى بن مريم	وللأنبياء الزهر مثوى ومدرج
وللأوصياء الطاهرين مقامهم	على غابر الأيام والحقد أبلج
بسبعين موصى بعد سبعين مرسل	جباههم فيها سجود تشجج
وآخرهم فيها صلاة إمامنا	علي بذا جاء الحديث المنهَّج

براثا مركز تلاقٍ مسيحي إسلامي

ربما يكون مسجد براثا هو الوحيد في العالم الذي يعانق اسمه وتاريخه المسيحي تاريخ وتراث الإسلام فيشكل وحدة

(1) بحار الأنوار ج 52 / ص 218
(2) تهذيب الأحكام ج 3 ص 264، من لايحضره الفقيه ج 1 ص 232
(3) مناقب آل ابي طالب ج 2 ص 100
(4) كامل الزيارات ص 546
(5) مستدرك الوسائل ج 3 ص 429

فريدة من نوعها بين الأديان السماوية. فعلى مرّ الزمن الذي أعقب ظهور الإسلام، تعاقبت على دولة المسلمين امبراطوريات وممالك وحكومات غيّرت وجه التاريخ ومسمياته، ولكن لم تستطع واحدة منها أنْ تغيّر إسم جامع براثا الذي شهد بزوغ المسيحية وكان على موعد مع شمس الإسلام.

لذا كان جامع براثا من المزارات المعظمة عند كل من المسيحيين والمسلمين على حد سواء.

وجامع براثا أقدم شاهد على بناء بغداد، فقد سبق بناؤه تأسيس العاصمة العباسية بقرن وثمانية أعوام، يقع على جانب الكرخ، في منطقة العطيفية حالياً[1].

وفي بداية الطريق بين بغداد ومدينة الكاظمية، وتشمخ منارته فأرضة على المكان عزلة قدسية، وخلف بوابته التي تعاقبت عليها عوادي الزمن يرقد كهف القديسين وكنوز التراث التي يحمل كلّ منها قصة زمن لا يشبه غيره. فمن الصخرة السوداء في باحته الواسعة إلى بئره المحاطة بالأسرار يمتد جسر التاريخ بين ظهور المسيحية التي سبقت الإسلام بمئات السنين، بينما تؤرخ لوحة الشهداء ومحراب المصلّين زمن الحاضر الذي منح براثا هوية مؤطرة بالحواجز، فصبغ البارود سقوفه وغيّر بعضاً من ملامحه، ومع ذلك لم يتغيّر اسم براثا.

تعد منطقة براثا أقدم معالم بغداد في تاريخ الإسلام قبل تأسيس مدينة السلام (بغداد) بـ (108) سنة، في الماضي يحوي مقبرة، ويقع في بغداد على جانب الكرخ في منطقة العطيفية حالياً في بداية الطريق بين بغداد ومدينة الكاظمية. تبعد براثا حوالي 10 كم عن مركز المدينة إذ كانت ديراً نصرانياً.. وبراثا هو اسم باني الدير ومعنى براثا بالسريانية (ابن العجائب) وفي اللغة العربية تعني (الأرض الرخوة الحمراء).

التسمية للجامع المبارك

وردت في عدة روايات في التسمية – منها:

أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أمر الراهب الذي كان في الدير -كون المكان كان ديراً للنصارى- أنْ يبني مسجداً مكان الدير ويسميه باسم بانيه.

ومنها: إنّ كلمة (براثا) تتكون من مقطعين في اللغة السريانية (بر) تعني أرض (اثا) تعني العجائب وبذلك يكون تفسيرها (أرض العجائب) وبذلك يكون تفسيرها (أرض العجائب).

وأورد أحد الأساتذة تفسيراً آخر هو أنّ براثا تعني التربة الرخوة الحمراء.

وذهب البعض إلى أنّ هذا المكان كان قبل الإسلام صومعة للسيد المسيح (عليه السلام) وفيه بيت مريم العذراء (عليها السلام) وأرض عيسى (عليه السلام)، حيث قيل: إنّ العذراء (عليها السلام) أتت هذا المكان عندما خرجت من بيت المقدس حاملة سيدنا عيسى (عليه السلام) وقد أشار كتاب الله العزيز إلى ذلك في الآية 21 من سورة مريم (فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً)، وصلّى فيه إبراهيم الخليل (عليه السلام) والنبي عيسى (عليه السلام) والنبي دانيال (عليه السلام).

لقد توجهت الأنظار وزاد الاهتمام بسمجد براثا أول الأمر سنة 239 هـ وصار من مساجد بغداد المشهورة ثم هدم بأمر المقتدر العباسي حتى سوي بالأرض وعُفيَ رسمه، خوفاً من تجمع الناس فيه ومعارضتهم للحكم العباسي، ومكث خراباً حتى سنة 328 هـ عندما أعيد بناؤه وتم توسيعه وسقّف بالساج المنقوش في زمن الراضي بالله العباسي... وفي عهد المتقي بالله سقطت صاعقة على بغداد، فأصيب الجامع بأضرار فأمر الخليفة بنقل المنبر الذي بناه هارون الرشيد، من جامع المنصور إلى مسجد براثا وبقي فيه حتى سنة 656 هـ عندما خُرِّجتْ بغداد على يد المغول.

ويُنسَب إلى براثا ـ والحديث ما زال للحَمَوي ـ أبو شُعَيب البُراثي العابد، كان أوّلَ مَن سكن براثا في كوخٍ يتعبّد فيه، فمرّت بكوخه جاريةٌ من أبناء الكُتّاب الكبار، وأبناء الدنيا كانت رُبِّيَت في القصور، فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنت حالَه وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فجاءت إليه وقالت: أريد أنْ أكون لك خادمة، فقال لها: إنْ أردت ذلك فتجرّدي عمّا أنت فيه حتّى تَصلُحي لما أردت. فتجرّدت عَن كلّ ما تملكه، ولبَست لبسة النسّاك وحَضَرَته، فتزوّجها، فلمّا دخلت الكوخَ رأت قطعةَ خصاف كانت في مجلس أبي شعيب تَقيه من النّدى، فقالت: ما أنَا مُقيمةٌ عندك حتّى تُخرِج ما تحتك؛ لأنّي سمعتُك تقول: إنّ الأرض تقول: يا ابنَ آدم، تجعلُ بيني وبينك حجاباً وأنت غداً في بطني! فرماها أبو شعيب، ومكثت عنده سنينَ يتعبّدان أحسنَ عبادة، وتُوفّيا على ذلك.

وكانت براثا قبل بناء بغداد قرية، ويُسميها أهل بغداد والعراقيون (المنطكة) مرّ بها علي بن أبي طالب (عليه السلام) لقتال الحروريّة الخوارج بالنهروان وصلّى في موضع من الجانب المذكور، وتعرّض هذا المسجد عدّة مرّات للهدم، لاجتماع قوم من الشيعة فيه، هدمه الراضي بالله حتّى سوّى به الأرض، ثمّ

(1) عرفت بهذا الاسم منذ مطلع العصر العثماني حينما اقتطعت السلطات العثمانية هذه الارض للسيد عطيفة بن رضاء الدين الحسني المتوفي سنة (924هـ). منطقة العطيفية في بغداد هي منطقة سكنية في جانب الكرخ وهي الموضع التي بنى فيها أبو جعفر المنصور مدينته المدورة وشكلت نواة لبغداد الحديثة. العطيفية ليست مركز المدينة الحالية ولكنها مجاورة للمركز. وتشتهر مدينة العطيفية بجامعها الشهير براثاالذي يعتبر مركزا من أهم المراكز الدينية والاجتماعية في الوقت الحاضر.

أمر بحكم الماكاني أمير الأمراء ببغداد بإعادة بنائه.

كانت مدرسة الكوفة تزدهر بمختلف النشاطات العلمية عندما كانت بغداد عاصمة الخلافة، ولمّا دبّ الضعف في السلطة العباسية وصارت السلطة بيد البويهيين تنفّس علماء الشيعة في أكثر مناطق العراق، فأسّست مدرسة رابعة للشيعة في العاصمة أنجبت شخصيات مرموقة تفتخر بها الإنسانية نظير: الشيخ المفيد (336 ـ 413هـ) تلك الشخصية الفذّة الذي اعترف المؤالف والمخالف بعلمه، وذكائه، وزهده، وتقواه، وكان شيخ أساتذة الكلام في عصره الذي شهد قمّة الجدل الفكري والعقائدي بين المدارس الفكرية المختلفة، وكان عظيم الشأن رفيع المنزلة، له كرسي للتدريس في مسجد براثا في بغداد، يقصده العلماء والعوام للاستزادة من علمه، وله أكثر من (200) مصنّف في مختلف العلوم، السيد المرتضى علم الهدى (355 ـ 436هـ)، قال عنه الثعالبي في يتيمته (1: 53) قد انتهت الرئاسة اليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم. وأشرف المساجد المسجد الحرام والصلاة فيه بمائة ألف، ثم مسجد النبي، والصلاة فيه بعشرة آلاف، وفي كل من المسجد الأقصى في الشام ومسجد الكوفة بألف، وفي مسجد الجامع بمائة، وفي مسجد القبيلة بخمس وعشرين، وفي مسجد السوق باثنتي عشرة، ومن المساجد المحثوث على الصلاة فيها مسجد براثا ببغداد، ومسجد المباهلة، ومسجد الفتح، ومسجد قبا وهذه في المدينة، وفي المنزلة واحدة. وكان الشيعة يقيمون صلاة الجمعة حتى أواسط القرن الخامس الهجري وخاصة في مسجد براثا في بغداد.

أهم المعالم الأثرية الموجودة في المسجد

يضم جامع براثا في الوقت الحاضر مسجداً كبيراً في أعلاه مئذنتان بنيتا سنة 1375 هـ ومكتبة قديمة وحرم للصلاة مع صحن واسع وبئر تدعى (ببئر علي بن أبي طالب) التي أحيطت بسياج وباب يفتح للزائرين الراغبين بالتبرك بمياهه، ومن أهم معالمه:

أولاً: الحجارة البيضاء

وهي الحجارة التي يحكى أنّ مريم (عليها السلام) وضعت عليها عيسى (عليه السلام) من على عاتقها. وتحمل الحجارة نقوشاً جميلة محفورة تعود لما قبل الإسلام، وتؤكد قدم الموضع. وقد نقرت على جانبي النقش بالخط النافر أسماء المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام) وهذا الحجر المبارك النفيس من الآثار الباقية للمعبد القديم والمسجد الجامع العتيق، وهو من الذخائر النفسية والشواهد المباركة والآثار المهمة.

وفي الواقع يحتوي المسجد على صخرتين شهيرتين تسمى الأولى صخرة التنطيق وهي صخرة سوداء ملساء في وجهها العلوي تجويف بسيط يوضع فيه الماء ومن ثم يشرب ويذكر الناس بأنّها تساعد في تحسين القدرة على الكلام لمن يعاني مشاكل في النطق والاستشفاء ببركة الماء الذي في الصخرة.

هنا وضعت مريم (الصخرة الثانية) بعد أنْ نبع الماء وشرب القوم وتوضّؤوا للصلاة ـ كما في الرواية المتقدمة ـ أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى موقع قريب وقال لأصحابه: (احفروا هاهنا سبعة أذرع).. فعندما حفروا وجدوا قطعة من حجارة بيضاء تعود في قدمها إلى ما قبل الإسلام، فقال (عليه السلام): (هاهنا وضعت مريم عيسى) أي على تلك الصخرة البيضاء وهذا مما يدلل على قدم جامع براثا وقدسيته.

وهذه القطعة من الرخام الأبيض التي تعد من أنفس الذخائر المتحفية والقطع الأثرية، لم تزل موجودة حتى يومنا ويقصدها كل داخل إلى المسجد للدعاء عندها والتبرك باستلامها. وقد نقش على جوانبها بخط بارز آية الكرسي وأسماء المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام).

ثانيا: بئر أمير المؤمنين (عليه السلام)

وهي البئر التي حفرت بأمر الإمام علي (عليه السلام) عندما نزل في موضع براثا، حين قال الإمام، أحفر هاهنا بئراً، فحفر فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها، فقلعها الإمام فانفلقت عين ماء ثم قال: اكشفوا ههنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشفوا فإذا صخرة بيضاء، فنصب أمير المؤمنين الصخرة وصلّى عليها وأقام أربعة أيام مع جيشه قبل عودته إلى الكوفة... وقد اندثرت البئر خلال العهود الماضية ثم كشف عنها قبل عدة سنوات وأحيطت بقبة زجاجية للحفاظ عليها والتبّرك بمائها العذب.

ولا يمكن رؤية البئر المغطاة بغطاء زجاجي مقفل إلاّ بعد نزول سُلَّم صغير، ويشرف القائمون على خدمة المسجد على فتح البئر والعناية بها وتزويد الراغبين من الزوار بالماء للتبرك به. وهو الذي حفره الإمام علي بعد رفع الصخرة الذي لا يزال ماثلا داخل المقام ولا يزال الناس إلى يومنا يستشفون به وبالصخرة ذاتها حيث يتمُّ جلب كمية منه توضع على حفرة في الصخرة ثم يشربها المريض للتبرك ولاسيّما الأطفال لسبعة أسابيع وقسم يكتفي بمرة واحدة من الذين يتأخر نطقهم. ويؤكد أحد خدمة المقام أنّه حدثت الكثير من المعجزات بقدرة الله تعالى والتي نطق فيها الأطفال بطلاقة ولباقة شديدة بعد أنْ كانوا يعجزون عن الكلام". وربما لهذا السبب سمّيت منطقة جامع براثا ب (المنطكة) أي بسبب الصخرة المنطّقة. بينما يوعز (أبو علي) أحد سكان العطيفية اسم المنطكة الذي يطلقه البغداديون عليها إلى كون الإمام علي (عليه السلام) تمنطق في مسجد

براثا اي ارتدى نطاق الحرب باتجاه النهروان.

ثالثا: الحجارة السوداء المنقورة

وهي حجارة سوداء تقع أمام البئر مباشرة، وعادة ما يجتمع الكثير من الزوار حولها، وتسمى بالحجارة السوداء أو (المنطقة) فيها نقرة والناس يعتقدون بأن الماء المصبوب في نقرة هذا الحجر إذا ما سقي به طفل يشكو من صعوبة النطق فإنّه بعد ذلك سينطق بإذن الله تعالى وتحل عقدة لسانه بحسب اعتقادهم.

إعمار المسجد

وفي الأخبار أنّه صلّى في براثا سبعون من الأنبياء والأوصياء منهم إبراهيم وعيسى ودانيال ويوشع وإلياس وأمير المؤمنين (سلام الله عليهم أجمعين)، وأنْ فيه قبر أحد أنبياء الله، وأنّه يحشر في هذا المكان عشرون ألفاً ومائة شهيد.

وشهد المسجد على امتداد التاريخ عدة عمليات توسيع ولعل أهمها تشييد مئذنتين في أعلى المسجد سنة 1375 هـ واستمرت أعمال البناء والتجديد حتى الوقت الراهن. تضم منطقة براثا مكتبة قديمة وحرماً للصلاة مع صحن واسع وبئر يعرف باسم بئر الإمام علي ومقبرة قديمة.

وتضمنت أرض براثا رفات العديد من رجالات عصرنا وعظماء بلادنا أمثال المؤرخ والأديب الشهير المرحوم الدكتور طه باقر والأستاذ الناقد المعروف المرحوم الدكتور علي جواد الطاهر والأستاذ اللغوي القدير المرحوم الدكتور مصطفى جواد وعالم الاجتماع الكبير المرحوم الدكتور علي الوردي وآخرين..

والمسجد اليوم معروف، يقع في طريق بغداد ـ الكاظمية، مقابل المنطقة المعروفة بـ العُطَيفيّة، وهو من المساجد القديمة. كتب الخطيب البغدادي بعد ذكر خبر هدم المسجد: ومكث خراباً إلى سنة 328 هجريّة، فأمر الأمير (بجكم الماكاني) بإعادة بنائه وتوسعته وإحكامه، فبُنيَ بالجصّ والآجر وسُقّف بالساج المنقوش، ووسّع فيه ببعض ما يليه ممّا ابتيع له من أملاك الناس. وكان الناس يأتونه للصلاة فيه والتبرك به، ثمّ أمر المتّقي بالله أنْ يُنصَب منبر فيه. ولم يزل على هذا إلى أنْ خُرِّبت بغداد سنة 451 هجريّة.

وكتب الشيخ المجلسيّ: هذا المسجد الآن موجود، وهو قريب من وسط الطريق من بغداد إلى مشهد الكاظمين (عليهما السلام). ويُستحبّ الصلاة وطلب الحوائج فيه.. قال الشهيد رحمه الله في الذكرى: ومن المساجد الشريفة مسجد بُراثا في غربيّ بغداد، وهو باقٍ إلى الآن، رأيتُه وصلّيت فيه.

كما كتب الشيخ عبّاس القمّي: وهذا المسجد الشريف في زماننا باقٍ، وقد صلّيتُ فيه مراراً.

حوادث المسجد المعاصرة والإعمار

قال ياقوت الحَمَويّ: بُراثا محلّة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبيّ باب محوّل، وكان لها جامع مفرد تصلّي فيه الشّيعة وقد خُرِّب عن آخره. وقال ياقوت:

وفي سنة 329 هجريّة فُرغ من جامع بُراثا وأُقيمت فيه الخطبة، وكان قبلُ مسجداً يجتمع فيه قومٌ من الشّيعة (وذكر تهمةً) فكبسه الراضي بالله وأخذ مَن وجده فيه وحبَسَهم، وهدم الجامع حتّى سوّى به الأرض. وأنهى الشّيعةُ خبره إلى (بَجْكم الماكاني) أمير أمراء بغداد، فأمر بإعادة بنائه وتوسيعه وإحكامه، ولم تزل الصلاةُ تُقام فيه إلى بعد الخمسين وأربعمائة هجريّة، ثمّ تعطّلت.

عن ابن عمر قال: هدم المنافقون مسجداً بالمدينة ليلاً، فاستعظم أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) ذلك، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): لا تنكروا ذلك، فإنّ هذا المسجد يُعمّر، ولكنْ إذا هُدِمَ مسجد براثا بطل الحجّ.

قيل له: وأين مسجد براثا هذا؟

قال: في غربي الزوراء من أرض العراق، صلّى فيه سبعون نبيّاً ووصيّاً، وآخر من يصلّي فيه هذا، وأشار بيده إلى مولانا علي بن أبي طالب.

قال السليلي مصنّف كتاب الفتن: فرأيت مسجد براثا وقد هدمه الحنبليون وحفروا قبوراً فيه، وأخذوا أقواماً قد حفر لهم قبور، فغلبوا أهل الميّت ودفنوهم فيه، إرادة تعطيل المسجد، وتصييره مقبرة، وكان فيه نخل فقُطع، وأُحرقت جذوعه وسقوفه، وذلك في سنة (312 هـ) فعُطّل من سنته الحج، وقد كان خرج سليمان بن الحسن (يعني القرمطي) في أوّل هذه السنة، فقطع على الحاجّ وقتلهم، وعطّل الحاجّ، ووقع الثلج في بغداد، فاحترق نخلهم من البرد، فهلك فأخبرني مولاي ناقد أنّ أبا عمرو قاضي بغداد قال له: احترق لي بقرية على ثلاث فراسخ من بغداد يقال لها صرصر مائة ألف نخلة. قال السليلي: فأيّ شيء أحسن؟ وأيّ أمر أوضح من هذا[1].

ويعرف قديماً بـ (جامع المنطقة) ويعرف أيضا بـ (مشهد العتيقة.

تاسيس الجامع:

أما تأسيسه فإن براثا من القرى العامرة قبل تأسيس بغداد، ولذا تعتبر من المواقع التاريخية والتراثية وقد استفاد من ذلك المهتمون بدراسة المواقع في بغداد لتحديد بعض معالمها. وقد أسس هذا المسجد في سنة (37هـ ـ 654م).

(1) الملاحم والفتن: 260، ح379.

وقد جرت على المسجد الكثير من عمليات التعمير والتجديد منها:

ما تم عام (1070 هـ - 1659 م).

وفي (1352هـ - 1933م) تم تجديد المسجد أيضا. - تصدّى بعض الأخيار عام (1375 هـ - 1955م) إلى تعمير المسجد وبناء منارته.

وأخيرا أقدم المؤمنون على إصلاحات أساسية في هذا المسجد، وقد وضعت المخططات لتوسعته وإعادة بنائه من جديد، وتبلغ مساحة براثا الجامع والمدفن والحديقة في السابق أضعاف ما هو عليه الآن، أما مساحته الحالية فتصل إلى حوالي (4000) متر مربع. قبل الإعمار الحالي تم إعمار المسجد في الستينات من القرن الماضي على عهد السيد محسن الحكيم (قد سره) وبإشراف مباشر من المرحوم الشيخ علي الصغير.

وقد نال جامع براثا حصته من الأحداث التي عصفت بالعراق في السنوات الأخيرة حيث تعرض لعمليتين إرهابيتين في العام 2006 أثناء صلاة الجمعة باحزمة ناسفة وسيارات مفخخة ما أدى إلى استشهاد العشرات وإصابة المئات. وبرغم هول ما حدث، لم يتوقف البناء والإعمار في الجامع، حيث تم توسيعه ليتسع إلى 30 ألف مصلٍّ، ولاسيما بعد زيادة عدد الزوار والمصلين في الأعياد فأضيف حرم النساء وحرم الزهراء وحرم الحسنين. تبلغ مساحة براثا الجامع والمدفن والحديقة في السابق أضعاف ما هو عليه الآن، أما مساحته الحالية فتصل إلى حوالي (4000) متر مربع، وقد وضعت المخططات لتوسعته وإعادة بنائه من جديد على وفق شكل هندسي حديث روعي فيه بقاء الروح التاريخية وبهاء الهيبة القدسية ليظل كما كان على مرّ التاريخ محطَّ أنظار السياح الأجانب والزائرين المتعبدين والدارسين لتطور العمران الإسلامي.

اثنتا عشرة فضيلة لمسجد براثا

في كتاب (هدية الزائر) في فضل هذا المسجد الشريف، وقلنا هناك إنّ لهذا المسجد كما يبدو من مجموع هذه الأحاديث فضائل عديدة تكفي إحداها لو حازها مسجد من المساجد أنْ تُشدَّ إليه الرحال وتطوى المراحل ابتغاء رضوان الله بالصلاة فيه والدّعاء:

الأولى: إنّ الله تعالى أقرّ أنْ لا ينزله بجيشه إلاّ نبيٌّ أو وصيُّ نبيّ.

الثانية: إنّه بيت مريم.

الثالثة: إنّه أرض عيسى (عليه السلام).

الرابعة: إنّ فيه العين التي نبعت لمريم.

الخامسة: إنّ أمير المؤمنين (صلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيهِ)، أبان تلك العين بإعجازه.

السادسة: أنّ فيه صخرة بيضاء مباركة عليها وضعت مريم عيسى (عليه السلام) من عاتقها.

السابعة: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كشف باعجازه عن تلك الصخرة فنصبها إلى القبلة وصلّى إليها.

الثامنة: صلاة أمير المؤمنين (عليه السلام) وابنيه الحسن المجتبى وسيد الشهداء (عليهما السلام) فيه.

التاسعة: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أقام هناك أربعة أيام.

العاشرة: إنّه صلّى فيه الأنبياء لا سيّما النبي خليل الرحمن (عليه السلام).

الحادية عشرة: إنّ هناك قبر نبي من الأنبياء ولعلّه يوشع(عليه السلام) فقد قال الشيخ (رحمة الله عليه) إنّ قبره في الفسحة المقابلة لمسجد براثا.

الثانية عشرة: إنّ فيه قد رُدّتْ الشمس لأمير المؤمنين (عليه السلام)

10- محراب الإمام علي (عليه السلام) في مسجد الكوفة

في إحدى زوايا مسجد الكوفة يشاهد الداخل إلى المسجد بناءً فخماً يختلف عن بقية مقامات المسجد، إنّه مقام الإمام علي (عليه السلام) في مسجد الكوفة، يتوجّه المؤمنون إليه بانكسار ووجوم حيث لا يتمالكون عنده منع دموع الحسرة من التساقط، وهم يتلون الزيارة، وكأنّ تلك الحادثة المروّعة حين هوت يد الخارجي الشقي عبدالرحمان بن ملجم بالسيف على رأسه الشريف وهو ساجد يصلي الفجر، قريبةُ عهدٍ منهم...

هذا المقام الذي يقع بإزاء الجدار القبلي للمسجد يشتمل على بيت للصلاة يتصدّره محراب أقيم محل المحراب الأصلي، مزيّن بالقاشاني الملون كتب في أعلاه: هذا مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). ويعدّ هذا المحراب من أجلّ المحاريب التي يضمها مسجد الكوفة وعلى يمينه بوابة برونزية مذهّبة ذات نقوش مفرغة بها زخارف جميلة بالقاشاني الملون، وفي أعلاها آية: ﴿كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ﴾ وقوله (عليه السلام) (فُزتُ وربِّ الكعبة)، وعلى يمين المحراب منبر مشيّد من الرخام الملون.

ومقام محراب أمير المؤمنين (عليه السلام) أوسع مقامات المسجد، كان يصلي فيه الإمام (عليه السلام) وفيه استشهد (عليه السلام) ومِنْ هنا سُمّي بالمقام لأنّه (عليه السلام) كان يقيم صلاته فيه، وكان بجنب المحراب باب يمرّ إلى قصر الإمارة الذي لا تزال أطلاله ماثلة اليوم وينتهي إلى بيت الإمام (عليه السلام) وهو قريب من دار الإمارة على بعد 85 متراً.

حين تدخل هذا المكان الطاهر المقدس، وأنت تفتح نافذة للزمن الهجري لا بدَّ لك أنْ تستعيد في ذاكرة التواريخ الكبيرة

شهادة المرتضى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في محراب الوجد الإلهي، وهو يختم الوجود المحدود بالوجود الأزلي عند الله، والدم يسيل من جبهته الشريفة التي لم تسجد لغير الله قط؛ لينال بذلك منزلة الشهادة وليستبشر بالفوز في محراب صلاته، وكأنك تسمع صوتاً مدوياً في الآفاق يمزّق صمت المكان يقول (فُزتُ وربِّ الكعبة) أذن إنّك في محراب الإمام علي (عليه السلام) في مسجد الكوفة، الذي ظلَّ شاهداً على السيرة الوضاءة والمعاني السامية والسجايا الحسنة وكرم الأخلاق لهذا الإمام البار والتقي.

تقول مصادر التاريخ: إنّ الإمام عليّاً (عليه السلام) حين نقل سِفْرَ الخلافة من المدينة المنورة إلى الكوفة بعد واقعة الجمل سنة 36هـ جعل مسجد الكوفة مركزاً للخلافة وموطناً للفكر ومدرسة للعلوم والفقه، وأتخذ من هذا المحراب الذي يقع في الضلع الجنوبي للمسجد مكاناً للتعبّد يصلّي به ويجتمع فيه العلماء والأخيار، وقد ألقى فيه علومه ومعارفه وقضى فيه بين الناس، وأسمعهم خطبه البليغة التي ضمها كتاب (نهج البلاغه) والتي عُدّت من روائع الأدب العربي ومن معجزات اللّسان وبدائع العقل البشري.

المحراب والرحّالة

وذكره ابن بطوطة في ذكر المسجد قائلاً: محراب محلّق بأعواد الساج مرتفع وهو محراب أمير المؤمنين، وهنالك ضربه الشقيّ ابن ملجم والناس يقصدونه للصلاة به، وفي الزاوية من آخر هذا البلاط مسجد صغير محلّق عليه أيضا بأعواد الساج يذكر أنّه الموضع الذي فار منه التنور حين طوفان نوح (عليه السلام).

فيما يقول الرحّالة الكبير ابن جبير عن هذا المحراب بعد أنْ دخل الكوفة يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر محرم سنة 580 هـ (على الجانب الأيمن من القبلة محراب محلّق بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنّه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي ذلك الموضع ضربه الشقيّ اللّعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف فالناس يصلّون فيه باكين داعين).

ويشير إلى هذا المحراب مؤرخ الكوفة السيد حسون البراقي يقول: يوجد رواق طويل يمتد على طول هذا الضلع وفيه محراب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو محاط بجدران وسقف ونقوش وشباك نحاسي وكتابة بالكاشي وله منبر أثري وقد مرّت عليه عدة تعميرات)[1].

فيما يصفه المؤرخ الدكتور حسين أمين بقوله (يُعدّ هذا المحراب أجمل المحاريب التي ضمّها مسجد الكوفة، وعلى يمين المحراب بوابة برونزية ذات نقوش مفرغة، حولها زخارف جميلة بالقاشاني الملوّن، وعلى يمين البوابة البرونزية منبر مشيد من الرخام.

مراحل إعمار مقام محراب أمير المؤمنين

هذا المحراب يتعاهده المؤمنون بالتبرك، ففي سنة 1971 م / 1388 هجرية تم نصب شباك فضّي جديد لمقام أمير المؤمنين في مسجد الكوفة المعظم. وكان هذا الشباك من أماني ومقررات العالم السيد محسن الحكيم رحمه الله وقد نفذ تلك الأماني نجله الأكبر حجة الإسلام السيد يوسف الحكيم في عام 1391 هـ وصُنِعَ في أصفهان في غضون ستة أشهر[2].

وقد قام سلطان البهرة بنصب الشباك عليه. وتضمن توسيع مساحته من (140) متراً مربعاً إلى ثلاثة آلاف متر مربع وتغليف سقوفه بالصّاج وأعمدته وأرضيته بالرخام وتزيين أروقته بالآيات القرآنية والأقوال المأثورة لأمير المؤمنين بالذهب والفضة والياقوت بالإضافة إلى طلي شباك المحراب بالذهب الخالص المغلّف بالزجاج ونصب أجهزة التبريد والإنارة وعمل بوابة فخمة للمحراب من الصاج المطعّم وتزيين السقوف بالثريّات والقناديل وأنشاء خدمات ملحقة بالمحراب بالقرب من بوابته الرئيسية وأعمال أخرى، وخلاصة القول فالبناء الجديد بأجمعه يعد تحفةً معمارية أبدعت فيه أنامل مشهود لها بالإبداع سيكون محطَّ فخر المسلمين في العالم.

ففي سنة 1973م تبرع الدكتور محمد برهان الدين زعيم طائفة البهرة بشباك فضّي مزخرف ومطلي بالذهب ومزيّن بالنقوش والآيات القرآنية وقد كتب على قطعة دائرية فيه عبارة (فُزتُ وربِّ الكعبة)، وهي الكلمة التي قالها أمير المؤمنين (عليه السلام) عند ضرب ابن ملجم له عند الصلاة، وقد رصفت عبارة أخرى بأحجار كريمة صغيرة جداً ظهرت بمظهر جميل رائع وألواح مستطيلة، طول الواحدة حوالي (20) سم وعرضها (3) سم، مطلية بالذهب كُتبَ على الأولى الحديث الشريف: (يا عليّ أنا وأنت أبوا هذه الأمة)، والثانية أسم المتبرع الدكتور محمد برهان الدين، والثالثة تأريخ هذه التعميرات، وقطعة صغيرة على شكل قرص دائري كتب عليه (محمد وعلي)، كما كتبت

(1) قال البراقي: إن ابن بطوطة شاهد آثارا كثيرة، وفي زماننا هذا ليس لها عين ولا أثر، ويظهر من كلامه في محراب أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه المحراب الموجود الآن الذي بجنبه المنبر المبني بالجص والحجارة. وبقوله: في الزاوية من آخر هذا البلاط، يشير إلى الزاوية الغربية، وهي الآن حجرة كبيرة، فعلى كلامه يكون منها فار التنور. ويظهر من قوله: في ظهره خارج المسجد بيت يزعمون أنه بيت نوح (عليه السلام)، إنّ بيت نوح ملاصق للزاوية الغربية ويتصل بالباب الذي ذكرنا أنه مقام نوح (عليه السلام) الذي بجنب المنبر، وهو الباب الذي يدخل منه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى المسجد. وأما متعبد إدريس، فليس له اليوم عين ولا أثر. وأما الفضاء الذي ذكره المتصل بالجدار القبلي من المسجد الذي نجرت فيه السفينة: فهو هذا الفضاء الموجود ما بين بيت أمير المؤمنين وبيت نوح الذي هو ملاصق للحائط القبلي.

(2) مراقد المعارف 2 / 314 الهامش.

عبارات داخل المقام مثل (لا فتى إلاّ علي ولا سيف إلاّ ذو الفقار) و(أنا مدينة العلم وعلي بابها) و(علي مع القرآن والقرآن مع علي) وقد رصفت واجهة المقام الداخلي بالمرمر الأبيض والزخارف الذهبية البارزة المغلفة بالزجاج، وقد كتب في أعلاه الآية الكريمة: (بسم الله الرحمن الرحيم من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وافتتح هذا التعمير من قبل الدكتور أحمد عبد الستار الجواري وزير التربية آنذاك مساء يوم 1974/5/9، حيث أقيم أحتفال ديني كبير في مسجد الكوفة، أفتتح بآيات من القرآن الكريم تلاها الدكتور محمد برهان الدين، ثم ألقى رئيس الجامعة باللغة العربية، ثم ألقى الدكتور محمد برهان الدين كلمته التي ذكر فيها فضائل الإمام وكراماته وجهاده للإسلام، ثم ألقى الدكتور الجواري كلمته، وبعد ذلك أختتم الحفل محافظ كربلاء عبد الرزاق الحبوبي بكلمته بالمناسبة

وقد رفع الستار عن الشباك الفضي المزخرف بألواح مطلية بالذهب المطعّم ببعض الأحجار، كذلك وضع حجر الأساس لتغليف جدران مقام الإمام علي (ﷺ) بالمرمر الأخضر الهندي وكان الحضور رئيس ديوان الأوقاف عبد الرزاق إسماعيل الفياض وعبد اللطيف ياسين عبد القادر، معاون رئيس ديوان الأوقاف للشؤون الإدارية ومدير العتبات المقدسة آنذاك.

وفي سنة 1363هـ جُدِّد محراب الإمام أمير المؤمنين (ﷺ) بنفقة التاجر النجفي المرحوم محسن شلاش وأولاده عبود ومحمد، وكان من جملة مراحل الإعمار منبر أمير المؤمنين (ﷺ) في المحراب، وقد أرّخ هذا المنبر الشيخ علي البازي قائلاً:

ذا منبر لأمير المؤمنين علي ... على السماكين شاو بالجلال علي
عليه كم عظة أعطى لذي رشد ... كالآي تتلى بنهج للإمام علي
قد شاده محسن من بأسمه شهدت ... آثاره بأبتذال المال والعملِ
ووسعا ولداه بعد روضته ... فأصبحت في العلا ناراً على جبلِ
فسوف يُجزى من الرحمن مكرمة ... ومن عليٍّ يلاقي بغيبة الأملِ
للمسلمين بمسعاه بناه وذا ... أرِّخْ (لهم منبر ينمى لخير ولي)

ومن جملة الإعمار الذي يطالعنا في سبعينيات القرن الماضي نجد أنّ المسجد قد لقي رعاية. فبكلفة (130 مليون دينار) قامت الأجهزة الفنية المختصة في وزارة الأوقاف صيانة سور مسجد الكوفة بجهاته الأربع وإعادة بنائه وفق التصميم الذي بني عليه بالطابوق المطلي المنجور وتطبيق الازارة بالمرمر الإيطالي وبكلفة مالية كبيرة قدرت ب (500 مليون دينار) تم إعادة بناء وتوسيع محراب الإمام علي (ﷺ) وجعل مساحته أكثر من (1000 م 2) وإعادة بنائه وفق التصاميم القديمة التي كان عليها المسجد قديما وإعادة تغليفه بالطابوق الفرشي الموصلي..

وفي سنة 1997م تم أكمال توسعة وإعمار محراب أمير المؤمنين (ﷺ) وذلك ببذل طائفة البهرة الداودية وسلطانهم وكانت هذه العمارة قد صممت وفق ريازة إسلامية متقدمة وتمّ في هذه المرحلة من الإعمار توسيع المحراب من مساحته (140م) إلى ثلاثة آلاف متر مربع وتغليف سقوفه بالعاج وأعمدته وأرضيته بالرخام وتلوين أروقته بالآيات القرآنية والأقوال المأثورة لأمير المؤمنين (ﷺ) بالذهب والفضة والياقوت بالإضافة إلى طلي شباك المحراب بالذهب الخالص المغلّف بالزجاج ونصب أجهزة التبريد والإنارة، وعمل بوابة فخمة للمحراب من العاج المطعّم وتزيين السقوف بالثريات والقناديل وأنشاء خدمات ملحقة بالمحراب بالقرب من بوابته الرئيسية وأفرزت هذه المرحلة من الإعمار عن فتح فرع مكتبة الإمام الحكيم العامّة في المسجد بعد أنْ كانت مغلقة ومبنيّة بالآجر، وتم سحب ما تبقّى من كتبها وتفرّقت حيث لا يعلم أحد مصيرها، وقيل أنها أرسلت إلى مكتبة الإمام الحكيم العامة وما صح الخبر وتوزعت بين الحرق والنهب والإهداء غير المشروع.

وقد كتبت على جدران المحراب بالذهب آيات من منظومات لسيف الدين طاهر إمام البهرة منها موشحة يقول في مطلعها:

يا سيد الشهداء ... خامس أهل الكساء
علي عظيم البلاء ... نالك في كربلاء
طول الزمان يعاني ... والهفتنا يا حسينا

يا سيد الشهداء

ومنها أبيات من قصيدته:

يا إمام الحق مولانا الحسين ... صفوة الله وصفو المعطفين
ياحسين بن علي المرتضى ... أنت والله لي قرة عين

المحراب ومحراب النافلة

ذكر العلامة المجلسي اختلافا في تحديد مكان المحراب أثناء بحثه في قبلة مسجد الكوفة قال: فائدة: قال شيخنا الفاضل الكامل السيد السند البارع التقي، أمير شرف الدين علي الشولستاني الساكن في مشهد الغري حيّاً وميّتاً قدس الله روحه في بعض فوائده: لا يخفى أنّه إنما تعلم الكعبة وجهتها بمحراب المعصوم (إذا علم أنّ بناءه بنصب المعصوم)

وأمره (عليه السلام) في زمانه أو في زمان غيره، لكنه (عليه السلام) صلّى إليه من غير تيامن وتياسر، وعلى هذا أمر مسجد الكوفة مشكل، إذ بناؤه كان قبل زمان أمير المؤمنين (عليه السلام) والحائط القبلي، والمحراب المشهور بمحراب أمير المؤمنين (عليه السلام) ليسا موافقين لجعل الجدي خلف المنكب الأيمن، بل فيهما تيامن، بحيث يصير الجدي قدام المنكب الأيمن، وكنت في هذا متأملاً ومتحيراً وأيّد تحيرّي بأنّهما كانا عكس ضريحه المقدس، فإنّه كان فيه تياسر كثير، ووقت عمارته بأمر السلطان الأعظم شاه صفي قدس الله روحه وقلت للمعمار: غيّره إلى التيامن، فغيّره، ومع هذا فيه تياسر في الجملة ومخالف لمحراب مسجد الكوفة، وحملته على أنّه كان بناه غير المعصوم من القائلين بالتياسر، وكنت في الروضة المقدسة متيامناً وفي الكوفة متياسراً، لأنّه نُقِلَ أنّه صلّى في مسجدها ولم يُنقَل أنّه (عليه السلام) صلّى باستقامة من غير تيامن وتياسر، وكان في وسط الحائط المذكور محراب كبير متروك العبادة عنده غير مشهور بمحراب أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا بمحراب أحد من الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، ولما صار المسجد خرابا وتهدمت الأسطوانات الكائنة فيه واختفى فرشه الأصلي بالأحجار والتراب، أراد الوزير الكبير ميرزا تقي الدين محمد (رحمه الله) تنظيف المسجد من الكثافات الواقعة فيه، وعمارة الجانب القبلي من المسجد، ورفع التراب والأحجار المرميّة في صحنه إلى الفرش الأصلي، ونظف وسوى دكتين في الجهتين الشرقية والغربية.

فظهر أنّ المحراب والباب المشهورين بمحرابه وبابه (عليه السلام) ما كانا متصلين بالفرش الأصلي، بل كانا مرتفعين عنه قريبا من ذراعين، والمحراب المتروك الذي كان في وسط الحائط القبلي كان متصلا وواصلاً إليه.

وظهر أيضا باب كبير قريب منه واصل إليه، وكانت عند الحائط القبلي من أوله إلى آخره أسطوانات وصُفّات، وبنى الوزير الأمجد عمارته عليها.

وعند ذلك المحراب كانت صُفّة كبيرة قدر صُفّتين من أطرافها لم يكن بينها أثر أسطوانات، ولما صار هذا المحراب الكبير عتيقاً كثيفاً أمر الوزير بقلع وجهه ليبيضوه، فقلعوا فإذا تحت الكثافة المقلوعة أنّه بيّضوه ثلاث مرات وحمّروه كذلك، وفي كل مرتبة بياض وحمرة أمالوه إلى اليسار، فتحير الأمير في ذلك فأحضرني وأرانيه وكان معه جمع كثير من العلماء والعقلاء الأخيار وكانوا متحيّرين متفكرين في الوجه.

فخطر ببالي: أنّ ذلك المحراب كان محراب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان يصلي إليه لوصوله إلى الفرش الأصلي، ولوقوعه في صُفّة كبيرة يجتمع فيها العلماء والأخيار خلف الإمام (عليه السلام) ولذلك كان الباب بابه (عليه السلام) الذي يجيء من البيت إلى المسجد منه لاتصاله بالفرش، ولما كان الجدار قديماً وكان ذلك المحراب فيه ولم يكن موافقا للجهة شرعاً تياسر (عليه السلام) وبعده المسلمون حرفوا وأمالوا البياض والحمرة إلى التياسر، ليعلم الناس أنّه (عليه السلام) تياسر فيه، وحمّروه ليعلموا أنّه (عليه السلام) قتل عنده.

وكان تكرار البياض والحمّرة لتكرار الاندراس والكثافة، ولما خُرِّبَ المسجد واندرست الأسطوانات والصفات، واختفى الفرش الأصلي وحدث فرش آخر، أحدث بعض الناس ذلك المحراب الصغير وفتح باباً صغيراً قريباً منه على السطح الجديد واشتهر بمحرابه وبابه (عليه السلام)، وعرضت على الوزير والحضّار، فكلُّهم صدّقوني (وقبلوا مني)[1] وصلّوا الصلاة المقررة والمعهودة عند محرابه (عليه السلام) (عنده) وقرأوا الدعاء المشهورة قراءته بعد الصلاة عنده وتياسروا في الصلاة على ما رأوا في المحراب، وأمر الوزير بزينته زائداً على زينة سائر المحاريب، وتساهل المعمار فيها فحدث ما حدث في العراق، وبقي على ما كان عليه كسائر المحاريب، والسلام على من اتبع الهدى.

إلى هنا كلام العلامة شرف الدين الشولستاني (رحمه الله)[2].

قال المجلسي: وجدت محاريب العراق وأبنيتها مختلفة غاية الاختلاف وأقربها إلى (القواعد) الرياضية قبلة حائر الحسين (عليه السلام)، ولكنها أيضا منحرفة عن نصف النهار أقل مما تقتضيه القواعد بقليل، وأما ضريح أمير المؤمنين (عليه السلام) وضريح الكاظمين (عليهما السلام)، فهما على نصف النهار من غير انحراف بيّن، وضريح العسكريين (عليهما السلام) منحرف عن يسار نصف النهار قريباً من عشرين درجة، ومحراب مسجد الكوفة منحرف عن يمين نصف النهار نحواً من أربعين درجة وهو قريب من قبلة أصفهان، وليس على ما ذكره السيد (رحمه الله) من كون الجدي قدّام المنكب وإلاّ لكان قريبا من المغرب، وانحراف الكوفة بحسب القواعد الرياضية اثنتا عشرة درجة عن يمين نصف النهار، وانحراف بغداد قريب منه، وانحراف سُرّ مَن رأى قريب من ثماني درجات من جهة اليمين، وقبلة مسجد السهلة قريب من القواعد، فظهر مما ذكرنا أنّ روضة أمير المؤمنين (عليه السلام) أقرب إلى القواعد من محراب مسجد الكوفة[3]، ولعل هذه الاختلافات مبنيّة على التوسعة في أمر ...

(1) في نسخة: (وقبلوني)،

(2) بحار الأنوار: 97 / 431 - 432.

(3) بعد ان تطورت اجهزة الاتصالات عبر الاقمار الصناعية، تم التاكد من ان قبلة مسجد الكوفة مستقيمة باتجاه الجدار القبلي بخلاف ما اشار الشيخ

القبلة، ولا يبعد أنْ يكون الأمر بالتياسر لأهل العراق لكون المحاريب المشهورة المبنية فيها في زمان خلفاء الجور، لا سيّما المسجد الأعظم على هذا الوجه ولم يمكنهم إظهار خطأ هؤلاء، فأمروا شيعتهم بالتياسر عن تلك المحاريب وعلّلوها بما علّلوا به تقية، لئلا يشتهر منهم الحكم بخطأ من مضى من خلفاء الجور. إلى هنا كلام المجلسي أخذنا منه موضع الحاجة[1].

أعمال محراب أمير المؤمنين (عليه السلام)

ولهذا المحراب أعمال للزائر ذكرها الشيخ عباس القمّي في المفاتيح قال: ثمّ صلّ في المكان الذي ضُرِبَ فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ركعتين كلّ ركعة بالفاتحة وسورة من السّور فإذا سلّمت وسبّحت فقل: يا مَنْ أَظْهَرَ الْجَميلَ وَسَتَرَ الْقَبيحَ، يا مَنْ لَمْ يُؤاخِذْ بِالْجَريرَةِ وَلَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ وَالسَّريرَةَ، يا عَظيمَ الْعَفْوِ يا حَسَنَ التَّجاوُزِ، يا واسِعَ الْمَغْفِرَةِ يا باسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى، يا مُنْتَهى كُلِّ شَكْوى، يا كَريمَ الصَّفْحِ يا عَظيمَ الرَّجاءِ، يا سَيِّدي صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَافْعَلْ بي ما أَنْتَ أَهْلُهُ يا كَريمُ.

ومنها مُناجاةُ أمير المؤمنين (عليه السلام): اَللّـهُمَّ انّي أَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلابَنُونَ إلاّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْب سَليم، وَأَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْه يَقُولُ يا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبيلاً، وَأَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصي وَالأَقْدامِ، وَأَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ لا يَجْزي والِدٌ عَنْ وَلَده وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والده شَيْئاً إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ، وَأَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظّالِمينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ، وَأَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْس شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئذ للهِ، وَأَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخيه وَأُمِّه وَأَبيه وَصاحِبَتِه وَبَنيه لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئذ شَأْنٌ يُغْنيه، وَأَسْأَلُكَ الأَمانَ يَوْمَ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدي مِنْ عَذابِ يَوْمَئذ بِبَنيه وَصاحِبَتِه وَأَخيه وَفَصيلَتِه الَّتي تُؤْويه وَمَنْ في الأَرْضِ جَميعاً ثُمَّ يُنْجيه كَلاّ إنَّها لَظى نَزّاعَةً للشَّوى، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْمَوْلى وَأَنَا الْعَبْدُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْعَبْدَ إلاّ الْمَوْلى، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْمالِكُ وَأَنَا الْمَمْلُوكُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُوكَ إلاّ الْمالِكُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْعَزيزُ وَأَنَا الذَّليلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الذَّليلَ إلاّ الْعَزيزُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْخالِقُ وَأَنَا الْمَخْلُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَخْلُوقَ إلاّ الْخالِقُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْعَظيمُ وَأَنَا الْحَقيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْحَقيرَ إلاّ الْعَظيمُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْقَوِيُّ وَأَنَا الضَّعيفُ وَهَلْ يَرْحَمُ الضَّعيفَ إلاّ الْقَوِيُّ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْغَنِيُّ وَأَنَا الْفَقيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْفَقيرَ إلاّ الْغَنِيُّ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْمُعْطي وَأَنَا السّائِلُ وَهَلْ يَرْحَمُ السّائِلَ إلاّ الْمُعْطي، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْحَيُّ وَأَنَا الْمَيِّتُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَيِّتَ إلاّ الْحَيُّ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْباقي وَأَنَا الْفاني وَهَلْ يَرْحَمُ الْفانيَ إلاّ الْباقي، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الدّائِمُ وَأَنَا الزّائِلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الزّائِلَ إلاّ الدّائِمُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الرّازِقُ وَأَنَا الْمَرْزُوقُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَرْزُوقَ إلاّ الرّازِقُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْجَوادُ وَأَنَا الْبَخيلُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْبَخيلَ إلاّ الْجَوادُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْمُعافي وَأَنَا الْمُبْتَلى وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُبْتَلى إلاّ الْمُعافي، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْكَبيرُ وَأَنَا الصَّغيرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الصَّغيرَ إلاّ الْكَبيرُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْهادي وَأَنَا الضّالُّ وَهَلْ يَرْحَمُ الضّالَّ إلاّ الْهادي، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الرَّحْمنُ وَأَنَا الْمَرْحُومُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَرْحُومَ إلاّ الرَّحْمنُ، مَوْلايَ يامَوْلايَ أَنْتَ السُّلْطانُ وَأَنَا الْمُسْتَحَنُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُسْتَحَنَ إلاّ السُّلْطانُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الدَّليلُ وَأَنَا الْمُتَحَيِّرُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُتَحَيِّرَ إلاّ الدَّليلُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْغَفُورُ وَأَنَا الْمُذْنِبُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمُذْنِبَ إلاّ الْغَفُورُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْغالِبُ وَأَنَا الْمَغْلُوبُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَغْلُوبَ إلاّ الْغالِبُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الرَّبُّ وَأَنَا الْمَرْبُوبُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْمَرْبُوبَ إلاّ الرَّبُّ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ أَنْتَ الْمُتَكَبِّرُ وَأَنَا الْخاشِعُ وَهَلْ يَرْحَمُ الْخاشِعَ إلاّ الْمُتَكَبِّرُ، مَوْلايَ يا مَوْلايَ ارْحَمْني بِرَحْمَتِكَ، وَاْرْضَ عَنّي بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَفَضْلِكَ يا ذَا الْجُودِ وَالإِحْسانِ وَالطَّوْلِ وَالامْتِنانِ، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

11- دكة القضاء في مسجد الكوفة

يُعَدّ القضاء من المناصب الإلهية ولا يستطيع أنْ يقوم به إلاّ من كان مؤيداً بروح قدسية أو من يأخذ بعلم وأمانة عن مؤيد بتلك الروح لأنّه قرين الحكومة الإلهية التي بيّنها الله سبحانه وتعالى في قوله (يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (ص/26) وقد بيّن ذلك ائمة أهل البيت (عليهم السلام) في الكثير من كلماتهم وحدّدوا صفات القاضي ومن يجب عليه القضاء.

فقد ذكر الكليني رحمه الله في باب إنّ الحكومة إنّما هي للإمام (عليه السلام) بعض الأخبار الدالة على المراد منها عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: اتقوا الحكومة فإنّ الحكومة إنّما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبيّ أو وصيّ نبيّ[2] والإمام أمير المؤمنين باعتباره النموذج الأكمل في النوع الإنساني بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) قد أفاض عليه النبي (صلى الله عليه وآله) من نوره وعلمه

وظهر ذلك جليا في يوم تعامد الشمس على الكعبة عند الفحص. بخلاف محراب مرقد الإمام علي (عليه السلام) الذي اظهر الكشف اخيرا انحرافه قليلا إلى جهة اليمين.

(1) بحار الأنوار: 97 / 433.

(2) الكافي ج 7 ص 406

مما جعله لذلك العلم باباً وقد توجَّه النبيُّ (ﷺ) بتاج القضاء تخصيصاً له بهذه المزيّة لئلا يقول قائل ويتأول مفترٍ بأنّ بابية العلم غير القضاء فكان هذا التاج (عليّ أقضاكم) فقد وردت هذه العبارة في صحاح ومسانيد الفريقين بعدة ألفاظ منها: أقضى أمتّي علي بن أبي طالب[1] أقضى أمّتي وأعلم أمّتي بعدي علي[2]: أعلم بالسنّة والقضاء بعدي علي بن أبي طالب[3] علي أقضى أمّتي بكتاب الله، فمن أحبّني فليحبّه ؛ فإنّ العبد لا ينال ولايتي إلاّ بحب علي (عليه السلام)[4] كما أنّ الصحابة نصّوا على أعلمية الإمام علي (عليه السلام) بالقضاء فعن عبد الله بن مسعود: كنّا نتحدث أنّ أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب[5] وعن عمر: أقضانا علي[6] عن عمر: كنا أمرنا إذا اختلفنا في شيء أنْ نحكِّمَ علياً[7] وصرّح الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه بأنْ لا تُعجِزهُ قضية وأنَّ له أنْ يقضي على كلِّ ملّة بكتابها: قال (عليه السلام): لو ثني لي الوساد لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى يزهر كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إنّ علياً قضى بقضائك[8] وقال مولانا الإمام الصادق (عليه السلام): كان علي (عليه السلام) يقول: لو اختصم إليّ رجلان فقضيت بينهما، ثم مكثا أحوالاً كثيرة، ثم أتياني في ذلك الأمر لقضيت بينهما قضاءً واحداً؛ لأن القضاء لا يحوّل ولا يزول أبداً[9]

لذلك كان (عليه السلام) يَعدّ نفسه مسؤولاً عن صحة عمل الجهاز القضائي وسلامته، وحينئذ لم يكن يكتفي بلغة الموعظة وتحذير القضاة من تضييع حقوق المجتمع، بل كان يمارس الإشراف المباشر على عمل القضاة، بل يراقب أحكامهم أيضا. ونظرا لما يحظى به الجهاز القضائي من موقع ممتاز في إصلاح شؤون المجتمع، كان الإمام يحرص على ممارسة القضاء والفصل في القضايا من خلال موقع (دكة القضاء) برغم ما عليه من مهام ومسؤوليات وهذه الدكة التي ما زالت آثارها شاخصة في وسط مسجد الكوفة لم تكن تسميتها آنية وإنما وردت في كتب الحديث والتاريخ من خلال ذكر جملة من القضايا التي جرت عندها في عصر الإمام (عليه السلام)

(1) المعجم الصغير: 1 / 201،
(2) الأمالي للصدوق: 642 / 870
(3) كفاية الطالب: 332
(4) تاريخ دمشق: 42 / 241 / 8753 ؛
(5) المستدرك على الصحيحين: 3 / 145 / 4656، 339
(6) صحيح البخاري: 4 / 1629 / 4211،
(7) المناقب لابن شهر آشوب: 2 / 30 وص 364،
(8) الإرشاد: 1 / 35
(9) الأمالي للمفيد: 287 / 5،

أمّا الدكة: فهي المكان المرتفع الذي يقعد عليه، والجمع دُكك كغرفة وغُرف والدُّكان مثله[10]

وورد أنّ الدكة تستعمل لجلوس الشيوخ للتعليم، فقد جاء أنّ محمد بن عبد الله ابن محمد البغوي (المتوفى 317هـ) اجتاز فسمع صوت مستملى فسأل عنه فقيل ابن صاعد فقال: (والله لا أبرح من موضعي حتى أملي من ها هنا، فصعد الدكة، وجلس وراء أصحاب الحديث، فأملى ستة عشر حديثاً، من ستة عشر شيخاً[11].

وفي الكوفة ما تزال لفظة الدكة شائعة الاستعمال وتطلق على المساحات المستطيلة والمربعة التي تحيط باسطوانات ومحاريب جامع الكوفة ومنها:

دكة القضاء التي كان يجلس عليها الإمام علي ليقضي بين الناس، وأنّ دكة القضاء كانت بناءً في جامع الكوفة يشبه الحانوت يجلس عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) للقَضاء والحكم وكانت هنالك اسطوانة قصيرة كتب عليها الآية: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ**﴾.

ومن القضايا التي حكم فيها الإمام (عليه السلام) وهو جالس على هذه الدكة يذكر لنا التاريخ منها:

1- روي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنّه قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) جالساً على دكة القضاء فنهض إليه رجل يقال له صفوان بن الأكحل وقال له: أنا رجل من شيعتك وعليَّ ذنوب فأريد أنْ تطهِّرني منها في الدنيا لأصل إلى الآخرة وما عليَّ ذنب فقال الإمام: قل لي بأعظم ذنوبك ما هي؟ فقال: أنا ألوط بالصبيان فقال (عليه السلام): أيما أحبُّ إليك ضربة بذى الفقار؟ أو أقلب عليك جداراً؟ أو أضرم لك ناراً؟ فإنّ ذلك جزاء من ارتكب ما ارتكبته فقال: يا مولاي أحرقني بالنار لأنجو من نار الآخرة فقال علي (عليه السلام): يا عمار أجمع ألف حزمة قصب لضرمه غداة غد بالنار: ثم قال للرجل: انهضْ وأوصِ بمالَكَ وبما عليك قال: فنهض الرجل وأوصى بمالَه وما عليه وقسّم أمواله بين أولاده وأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقّه ثم أتى باب حجرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيت نوح (عليه السلام) شرقي جامع الكوفة، فلمّا صلّى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: يا عمار ناد بالكوفة

(10) مجمع البحرين 766/5، وفي المصباح 212/1: الدكة المكان المرتفع يجلس عليه وهو المسطبة (معرب). ويقول الفيروز آبادي: الدكة بالفتح والدكان بالضم بناء يسطح أعلاه للمقعد (قاموس – دك).
(11) المنتظم 228/6 (حيدر آباد الدكن 1357هـ) وقد جاء ذكر السدّة بمثابة موضع لجلوس الشيخ: الفخري (لابن الطقطقي) /23 وذكرنا في حديثنا عن جامع الكوفة ان السدة تمثل موضعا آخر، راجع (ابواب جامع الكوفة).

اخرجوا وانظروا حكم أمير المؤمنين فقال جماعة منهم: كيف يحرق رجلاً من شيعته ومحبيه وهو الساعة يريد حرقة بالنار فتبطل إمامته فسمع ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال عمار رضي الله عنه: فأخذ الإمام (عليه السلام) الرجل وبنى عليه ألف حزمة من القصب وأعطاه مقدحة وكبريتا وقال: اقدح واحرق نفسك فإنْ كنت من شيعتي ومحبّيَّ وعارفيَّ فإنّك لا تُحرق في النار، وإنْ كنتَ من المخالفين المكذبين فالنار تأكل لحمك وتكسر عظمك، قال: فقدح الرجل على نفسه واحترق القصب، وكان على الرجل ثياب بيض فلم تعلق بها النار ولم يقربها الدخان، فاستفتح الإمام (عليه السلام) وقال: كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالا بعيدا، ثم قال: - شيعتنا امناء وأنا قسيم الجنة والنار وشهد لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مواطن كثيرة[1]

2- عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: دخل أمير المؤمنين المسجد فاستقبله شاب يبكي وحوله قوم يسكتونه، فقال علي (عليه السلام) ما أبكاك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ شريحاً قضى عليّ بقضية ما أدري ما هي، إنّ هؤلاء النفر خرجوا بأبي معهم في السفر فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله، فقالوا: ما ترك مالاً، فقدمتهم إلى شريح فاستحلفهم، وقد علمت يا أمير المؤمنين إنّ أبي خرج ومعه مال كثير. فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام): ارجعوا، فرجعوا والفتى معهم إلى شريح، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يا شريح، كيف قضيت بين هؤلاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أدّعى هذا الفتى على هؤلاء النفر إنّهم خرجوا في سفر وأبوه معهم، فرجعوا ولم يرجع أبوه، فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله، فقالوا: ما خلّف مالاً، فقلت للفتى: هل لك بينة على ما تدّعي، فقال: لا، فاستحلفتهم. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): هيهات يا شريح، هكذا تحكم في مثل هذا. فقال: يا أمير المؤمنين كيف؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): واللّه لأحكمنّ بينهم بحكم ما حكم به خلق قبلي إلاّ داوود النبي (عليه السلام). يا قنبر: ادع لي شرطة الخميس، فدعاهم، فوكّل بكلّ رجل منهم رجلاً من الشرطة، ثم نظر إلى وجوههم فقال: ماذا تقولون، تقولون إنّي لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى، إنّي إذاً لجاهل. ثم قال: فرّقوهم وغطّوا رؤوسهم، قال: ففرّق بينهم، وأُقيم كلّ رجل منهم إلى أسطوانة من أساطين المسجد، ورؤوسهم مغطاة بثيابهم، ثم دعا بعبد الله بن أبي رافع كاتبه، فقال: هات صحيفة ودواةً، وجلس أمير المؤمنين (عليه السلام) في مجلس القضاء وجلس الناس إليه. فقال لهم: إذا أنا كبّرت فكبروا، ثم قال للناس: أُخرجوا، ثم دعا بواحد منهم فأجلسه بين يديه، وكشف عن وجهه، ثم قال لعبد الله بن أبي رافع: أُكتب إقراره وما يقول، ثم أقبل عليه بالسؤال. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): في أيّ يوم خرجتم من منازلكم، وأبو هذا الفتى معكم؟ فقال الرجل: في يوم كذا وكذا. وقال: في أيّ شهر؟ قال: في شهر كذا وكذا. وقال: وفي منزل مَنْ مات؟ قال: في منزل فلان بن فلان. قال: وما كان مرضه؟ قال: كذا وكذا. قال: وكم يوماً مرض؟ قال: كذا وكذا. قال: ففي أيّ يوم مات؟ ومن غسله، ومن كفّنه، وبما كفنتموه، ومن صلّى عليه، ومن نزل قبره؟ فلما سأله عن جميع ما يريد، كبّر أمير المؤمنين (عليه السلام) وكبّر الناس جميعاً، فارتاب أولئك الباقون، ولم يشكّوا أنّ صاحبهم قد أقر عليهم وعلى نفسه، فأمر أنْ يُغطّى رأسه وينطلق به إلى السجن. ثم دعا بآخر فأجلسه بين يديه وكشف عن وجهه وقال: كلاّ زعمتم إني لا أعلم ما صنعتم، فقال: يا أمير المؤمنين: ما أنا إلاّ واحد من القوم، ولقد كنت كارهاً لقتله فأقرّ. ثم دعا لواحد بعد واحد كلهم يقر بالقتل، وأخْذِ المال، ثم ردّ الذي أمر به إلى السجن، فاقرّ أيضاً فألزمهم المال والدم. فقال شريح: يا أمير المؤمنين، وكيف حكم داوود النبي. فقال: إنّ داوود النبي مرّ بغلمة يلعبون وينادون بعضهم بـ (يا مات الدين) فيجيب منهم غلام، فدعاهم داوود (عليه السلام) فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقال: مات الدين. فقال له داوود (عليه السلام): من سمّاك بهذا الاسم؟ قال: أُمي. فانطلق داوود إلى أمه، فقال لها: أيّتها المرأة: ما اسم ابنك هذا؟ قالت: مات الدين. فقال لها: ومن سمّاه بهذا؟ فقالت: أبوه. قال: وكيف كان ذاك؟ قالت: إنّ أباه خرج في سفر له ومعه قوم، وهذا الصبيُّ حَمْل في بطني فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فقلت لهم، فأين ما ترك؟ قالوا: لم يخلّف شيئاً، قلت: هل أوصاكم بوصية؟ قالوا: نعم، زعم إنّك حبلى، فما ولدت من ولد جارية أو غلام فسمّيه مات الدين، فسمّيته. قال داوود (عليه السلام): وتعرفين القوم الذين كانوا خرجوا مع زوجك؟ قالت: نعم. قال: فأحياء أو أموات؟ قالت: بل أحياء. قال: فانطلقي بنا إليهم؟ ثم مضى معها فاستخرجهم من منازلهم فحكم بينهم بهذا الحكم بعينه وأثبت عليهم المال والدم، وقال للمرأة: سمّي ابنك هذا: عاش الدين. ثم إنّ الفتى والقوم اختلفوا في مال الفتى، كم كان، فاخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) خاتمه وجميع خواتيم من عنده، ثم قال: اجيلوا هذه السهام فأيكم أخرج خاتمي فهو صادق في دعواه لأنّه سهم اللّه وسهم اللّه لا يخيب[2].

12- مسجد السهلة

مسجد السهلة أحد أكبر المساجد التي شُيّدت في الكوفة خلال القرن الهجري الأوّل، وما زال أثرها وذِكْرها خالداً إلى الآن. ويبدو أنّ بني ظفر هم بُناة المسجد الحقيقيّون، وهؤلاء

(1) الفضائل شاذان بن جبرئيل القمي ص 74

(2) الكافي: 8/371/7.

بطنٌ من الأنصار نزلوا الكوفة؛ ولهذا عُرف المسجد أوّلَ الأمر بمسجد بني ظفر، ثمّ إنّ المسجد عُرف بمسجد السَّهْلة، وهي التسمية المتداولة حاليّاً. والسهلة مقبرة من مقابر الكوفة القديمة، فالمسجد يكون على طرف من مقبرة السهلة، وممّن دُفن بالسهلة: عليّ بن إبراهيم الخيّاط (ت 207 هـ)، وأحمد بن محمّد الطائي (ت 281 هـ)، ومجد الدين حسن بن الحسين الطاهر العلوي (ت 645 هـ).. وغيرهم. ومسجد السهلة الحالي مستطيل الشكل، يتألّف من أربعة أضلاع آجُرّيّة، والمشاهد أو المقامات التي تُزار الآن داخل المسجد هي:

1 ـ مقام الإمام علي زين العابدين، السجّاد (عليه السلام): يقع وسط المسجد، عن شماله مقام الإمام الصادق (عليه السلام)، وعن جنوبه مقام الإمام المهدي (عليه السلام) وإليه أقرب.

2 ـ مقام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): يقع وسط المسجد تماماً، ومحرابه مُجوّف، كُتب على القاشانيّ الذي يكسو التجويف أحدُ الأدعية المأثورة في السهلة، وتُقام على دكّته المستطيلة صلاة الجماعة.

3 ـ مقام الإمام المهديّ المنتظر عجّل الله فَرجَه: ويُعرَف بمقام صاحب الزمان، يقع في وسط الضلع القبلي.

4 ـ مقام النبي الخضر (عليه السلام): في الزاوية بين الضلعين الجنوبي والغربي.

5 ـ مقام النبي إدريس: يُقال إنّه كان بيتَ إدريس يقع في الزاوية بين الضلعين الجنوبي والشرقي.

6 ـ مقام الصالحين: ويُعرَف بمقام الأنبياء هود وصالح (عليهما السلام)، يقع في الزاوية بين الضلعين الشمالي والشرقي.

7 ـ مقام النبيّ إبراهيم الخليل: يُقال إنّه كان بيتَ إبراهيم يقع في الزاوية بين الضلعين الشمالي والشرقي. والمظنون أنْ كان لمسجد السهلة منارةٌ قديمة هُدّمت في وقت لم نُدركه، والمنارة الحالية شُيّدت سنة 1378 هـ / 1967 م، أرّخ بناءها السيّد محمّد الحلّي بقوله:

للسهلةِ آقصُدْ واستَجِرْ ... من كلّ نائبةٍ وكَبْتِ
هو مسجدٌ سَمَتَ العبادةُ ... فيه في سَمْتٍ وصمتِ
قد عُمِّرتْ فيه المنارةُ ... للأذان برفْعِ صَوْتِ
مُذ قيل في تاريخها: ... ويُؤذّنون بكلّ وقتِ[1]

وقد أُلحق بالمسجد قديماً صحنٌ واسع، وهو مقسّم إلى قسمين:

الأوّل: الذي في الطرف الجنوبي (خان الزوّار)، وهو شبيه بالخانات الشاخصة الآن على طريق النجف ـ كربلاء القديم، ويعود تاريخه إلى حوالَي 300 سنة.

والثاني: يقع في الجانب الشمالي، وفيه بيوت خدم المسجد وقد هُدّمت أوائل سنة 1979 م / 1399 هـ

الإمام علي ومسجد السهلة

سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك بن ضمرة العنبري قائلا: أتخرج إلى المسجد الذي في جنب دارك تصلي فيه؟، قال: فقلت له يا أمير المؤمنين ذاك مسجد تصلّي فيه النساء، فقال لي (عليه السلام): يا مالك ذاك مسجد ما أتاه مكروب قط يصلّي فيه فدعا إلاّ فرج الله عنه وأعطاه حاجته.

عن أبي موسى محمد بن محمد بن موسى بن مالك بن ضمرة صاحب علي (عليه السلام) قال: كنت أصلّي فوق جبل الخندق فحانت مني التفاتة إلى مسجد السهلة فنظرت إليه في وقت الصلاة يوم الجمعة فإذا هو روضة خضراء، وفيه دويٌّ كدويّ النحل فمسحت عيني ثم نظرت إليه فإذا كما رأيته أولا فنزلت من الجبل أمشي حتى اتيته فلما قمت في وسطه غاب عني الشجر، وسمعت الدويّ كدويّ النحل[2].

قال الإمام الباقر (عليه السلام) – وهو يتحدث عن الكوفة المقدسة –: هي الزكيّة الطاهرة، فيها قبور النبيين، المرسلين وغير المرسلين، والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلاّ وقد صلّى فيه، وفيها يظهر عدل الله وفيها يكون قائمه والقوّامون من بعده.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): مسجد السهلة هو بيت إدريس الذي كان يخيط فيه، وهو الموضع الذي خرج منه إبراهيم إلى العمالقة، وهو الموضع الذي خرج منه داود إلى جالوت.

وعنه (عليه السلام) أيضا: كأني أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله، وهو منزل إدريس، وما بعث الله نبيّاً إلاّ وقد صلّى فيه، والمقيم فيه كالمقيم في فسطاط رسول الله، وما من مؤمن ولا مؤمنة إلاّ وقلبه يحنّ إليه، وما من يوم ولا ليلة إلاّ والملائكة يأوون إلى هذا المسجد يعبدون الله فيه.

ويسمى هذا المسجد بعدة أسماء منها:

أ ـ مسجد بني ظفر: نسبة إلى ما روي عن الإمام علي (عليه السلام) أنّه قال: إنّ بالكوفة أربع بقاع مقدمة ذكر من بينها مسجد ظفر، واستطرد مؤكداً وقال (وهو مسجد السهلة).

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) قال: مسجد بني ظفر مسجد مبارك، والله إنّ فيه لصخرة خضراء وما بعث الله من نبي إلاّ

(1) الطريحي، العتبات المقدسة في الكوفة، ص 134.

(2) فضل الكوفة ومساجدها ص 37.

فيها تمثال وجهه وهو مسجد السهلة، وعلة تسميته بهذا الإسم لاحتمالين الأول هو: أنّ المسجد يجاور ويحادد خطة بني ظفر. والثاني: أنّ بني ظفر هم بناة هذا المسجد، وهؤلاء بطن من الأنصار نزلوا الكوفة.

ب ـ مسجد القرى: ورد أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) سأل العلاء بن رزين: أتصلّي في المسجد الذي تسمونه مسجد السهلة ونحن نسميه مسجد القرى؟ فأجابه: إني لأصلي فيه جعلت فداك.

ج ـ المسجد البري: ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، أنّه قال: تصلي في المسجد الذي عندكم تسمونه مسجد السهلة، ونحن نسميه المسجد البرّي، والبِر: الاتساع في الإحسان والزيادة.

د ـ مسجد بني عبد القيس

هـ ـ مسجد السهلة: ورد في الكثير من الروايات المرويّة عنهم صلوات الله عليهم ولفظ السهلة: يعني: رَمل ليس بالدقاق.

و ـ مسجد سهيل: كذلك ورد عنهم (عليهم السلام) ولعله اسم بانيه أو أحد المتعبدين فيه، ورد في الكثير من فضائل هذا المسجد المبارك روايات تتعلق بالأنبياء (عليهم السلام)

منها:

أ ـ أما علمت إنّه موضع إدريس النبي (عليه السلام) الذي كان يخيط فيه، ومنه رفع إلى السماء، وأجير من مكروه الدنيا ومكائد أعدائه، ومقامه فيه مشهور.

ب ـ منه سار إبراهيم (عليه السلام) إلى اليمن بالعمالقة، ومقامه فيه مشهور.

جـ ـ منه سار داود (عليه السلام) إلى جالوت

د ـ منه سار داود (عليه السلام) إلى طالوت.

هـ ـ إنّ فيه لصخرة خضراء فيها مثال كل نبي ومن تحت تلك الصخرة أخذت طينة كل نبي... وفيه زبرجدة فيها صورة كل نبي وكل وصي.

و ـ وفي المسجد مقام ينسب إلى النبي صالح (عليه السلام) ويقال له أيضاً مقام الصالحين والأنبياء والمرسلين وفي المسجد وردت أيضاً أنّ فيه مناخ الراكب والراكب هو الخضر (عليه السلام).

ـ إنّ الله تعالى لم يرسل نبياً قط إلاّ وصلّى فيه.

الأئمة (عليهم السلام) ومسجد السهلة:

أ ـ الإمام علي (عليه السلام): وقد ذكره ضمن المساجد المباركة في الكوفة وقال فيه: وإنّ مسجد السهلة مناخ الخضر (عليه السلام) ما أتاه مغموم إلاّ فرج الله عنه

ب ـ الإمام السجاد (عليه السلام): مَنْ صلّى في مسجد السهلة ركعتين زاد الله في عمره سنتين.

ج ـ الإمام الصادق (عليه السلام): ذكر (عليه السلام) أخباراً كثيرة في فضله منها: ـ

لو أنّ عمّي زيداً أتاه فصلّى فيه واستجار لأجاره الله عشرين سنة. ـ ما أتاه مكروب قط فصلّى فيه بين العشاءين ودعا الله إلاّ فرج الله كربته. ـ كل من أقام فيه فكأنما قام في خيمة رسول الله (صلى الله عليه وآله). وما من مؤمن ولا مؤمنة إلاّ وقلبه يحن إليه. ـ

وما من أحد يصلّي فيه ويدعو بنيَّة خالصة إلاّ أعطاه الله حاجته. ـ وما من أحد يطلب فيه الأمان إلاّ آمنه الله من كل ما يخاف.

ما من يوم أو ليلة إلاّ وتنزل الملائكة لزيارته وعبادة الله فيه.

هو من البقاع التي أحبّ الله أنْ يدعى فيها.

أما إنّي لو كنت بالقرب منكم ما صلّيت صلاة إلاّ فيه.

وقد ورد أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) أتاه أكثر من مرة ودعا فيه بالدعاء المعروف والمذكور في مقامه (عليه السلام)

ومنها أنّه صلّى ركعتين كان قد صلاّهما لقضاء حاجة امرأة تناولها الجلاوزة العباسيون بالضرب ثم الحبس، فأخرجت وأكرمت والإمام (عليه السلام) بعدُ في المسجد

ولقد وردت أخبار كثيرة أخرى في فضل هذا المسجد منها: ـ

وفيه المعراج وقد أوّل العلامة المجلسي هذا الحديث بعروج الدعاء فيه إلى السماء

. وهو الفاروق الأعظم. وفيه ينفخ في الصور وإليه المحشر ويحشر من جانبه سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب

من خواص هذا المسجد المبارك الاستجارة فيه من البلاء كما ورد عنهم صلوات الله عليهم (.. لو أنّ عمّي زيداً استجار الله لاجاره عشرين سنة (أي في هذا المسجد)

وذكر الشيخ جعفر الكبير في كتابه كشف الغطاء بعد هذا الحديث ـ وقد استجرت به في سنة الطاعون مع ما يقرب من أربعين شخصاً على الظاهر وقد أفني الخلق ثم بعد انقضائه ما فُقد منهم أحد على الظاهر

. ليس هناك مصادر تأريخية تدل دلالة علميّة تاريخية كاملة على تأسيس المسجد وتأريخه والعمارات التي طرأت عليه، إلاّ أنّ أقوالاً عديدة تنص على أنّ المسجد كان بيتاً لأدريس (عليه السلام) مرة ومرة لإبراهيم (عليه السلام)، ومن خلال نصوص بعض الروايات المذكورة سابقاً من أقوالهم (عليهم السلام).

ويمكن القول بأنّ المسجد كان مؤسساً قبل زمن خلافة الإمام علي (عليه السلام) في الكوفة (35 ـ 40هـ) وليس ببعيد أنْ يكون الإمام قد أدّى إحدى صلواته فيه وذلك لقدسيته وفضله.

يقع المسجد في الجهة الشمالية الغربية من مسجد الكوفة، ويبعد عنه حوالي كيلومترين تقريباً، الشكل التقريبي لمساحة المسجد مستطيل الشكل يتألف من أربعة أضلاع: الشمالي طوله 160م، الشرقي طوله 130م، الجنوبي طوله 160، الغربي 130م، وسور المسجد مرتفع ومدعوم بأبراج نصف دائرية من الخارج، يبلغ ارتفاع السور أكثر من 22م. وفي منتصف الضلع الشرقي مأذنة يبلغ ارتفاعها 13 متراً، تحيط بها من الأعلى سلة مزخرفة بأجمل أنواع الزخرفة والنقوش كتبت عليها آيات قرآنية وقد شُيّدت من قبل الحاج جواد بن الشيخ حسين السهلاوي الخفاجي في سنة (1387هـ ـ 1967م)، المدخل الرئيس للباب هو الباب المجاور للمأذنة وتقع في منتصف الضلع الشرقي، وتحيط مساحة المسجدعلى طول الضلعين الشرقي والغربي صفان من العقود ـ الإيوانات ـ وفي الضلع الجنوبي يوجد رواق طويل يمتد على طول الضلع، وساحة المسجد مكشوفة وتنتشر في وسطها وزواياها عدة مقامات ومحاريب للأنبياء والأئمة (عليهم السلام) منها مقام الصادق (عليه السلام) ثم مقام إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ثم مقام إدريس (عليه السلام) ومقام الخضر، ومقام الصالحين والأنبياء والمرسلين، ومقام الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومقام الإمام المنتظر (عليه السلام). ينقل العلامة السيد محمد تقي الأصفهاني إنّه وجد كتاباً أو أثراً يذكر أنّ تشييد الجهة القبلية (الرواق الجنوبي) للمسجد كان قبل عام 750 هـ

1- في سنة 1303 هـ قام الحاج محمد صادق الأصفهاني بتشييد الغرف على الجدار الجنوبي الشرقي.

2- في سنة 1308هـ قام الحاج محمد باقر البوشهري بإلحاق غرف للأواوين السابقة على الجانب الشمالي الغربي ووضع لها أبواباً.

3 - في سنة 1351 هـ قام الحاج محمد رضا البوشهري ببناء الأروقة بصورة جديدة تختلف عن سابقتها كما قام بتبليط كافة سطوح المسجد.

4 - في سنة 1376هـ قامت الأوقاف العراقية بأول ترميم للمسجد وكان بسعي المغفور له الحاج عبد المحسن شلاش.

5- في سنة 1396 هـ تبرع الحاج رضا النجار النجفي بالباب الرئيسي للمسجد.

6- في سنة 1387هـ شُيِّدت المنارة الحالية.

7- في سنة 1389 هـ قامت الأوقاف بتبليط أرصفة الأروقة الداخلية للمسجد.

8- في سنة 1380هـ أجريت تعميرات أخرى من قبل جماعة من المحسنين.

9- في سنة 1392 قامت الأوقاف برصف الجوانب الإمامية المحيطة بالمسجد بالطابوق الكونكريتي. وفي عصرنا الحالي عُمّر المسجد تعميراً جديداً على هيئته الأثرية السابقة بمساعي وجهود آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم والتعمير هذا ما زال مستمراً منذ عدة سنوات وفيه وسع مقام الإمام المهدي (عليه السلام) والمقامات الأخر فجزاه الله جزاء المحسنين. وفيه مقام الإمام المهدي ويعرف بمقام صاحب الزمان (عليه السلام) أو صاحب العصر والأمر، ويقع في وسط الجهة الجنوبية من المسجد، وللمكان هذا أثر في النفوس المؤمنة الخيّرة بسبب ما اشتهر من أنّ الإمام (عليه السلام) قد صلّى ودعا الله عز وجل فيه.

كانت مساحته قبل التعمير الأخير تشغل طولاً 80م وعرضاً 5/5 م تقريباً، ولقد وسع بعدها بمساحة أوسع بكثير من ذي قبل، وللمقام محراب وعلى محرابه شباك برونزي عمره لا يتجاوز 150 سنة مبني على فضاء صغير، خال من الزخرفة والكتابة، ويحيط بهذا الشباك دعاءان شهيران يقرآن خصيصاً لمناسبة زيارة المقام وقد كُتبا على قطع القاشاني الأزرق التي تكسو المحراب، وداخل بناية المقام والذي هو أكبر مقامات المسجد قاعتان واسعتان للصلاة والدعاء واحدة عن الشمال خصِّصت للرجال والأخرى عن اليمين خصصت للنساء.

كان السيد محمد مهدي بحر العلوم قد بنى في عام 1181 هـ بناية لمقام الإمام المهدي (عليه السلام) ثم تلا ذلك توسيع لهذا المقام لعدة مرات في عهده رحمه الله

ثم هدمت هذه العمارة من قبل الوجيه محمد باقر البوشهري عام 1308هـ حيث ثُبّت للمقام عمارة جديدة بينها وبين العمارة السابقة أكثر من عشرة أمتار، وقد بنى هذه البناية وقام بتغطيتها بالقاشاني الأزرق بعد قصة تشرّفه بالمقام السامي ورؤيته للحجة الغائب (عليه السلام)، كما ينقله عامة من كتب عنه برواية الميرزا أبي القاسم القمي صاحب القوانين.

وفي أواخر عام 1394هـ قام المحسن الحاج عبد المنعم ناصر مرزة الأسدي بتهديم البناء الذي شيّده البوشهري وأقام بناية جديدة بسعة (120م) عليها قبّة من الكاشاني الأزرق.

وفي عام 1315هـ جاء المحسن الحاج محمد رشاد ناصر مرزة الأسدي فهدم البناية السابقة عدا القبة، ووسّع المقام إلى مساحة (600م) وهي البناية الموجودة حالياً.

لم يكن هذا المقام معهوداً بين الناس، فأمر السيد محمد مهدي بحر العلوم ببناء هذا المقام وبناء قبة من الكاشي الأزرق عليه وذلك سنة 1181هـ.

قال السيد ابن طاووس: إذا أردت أنْ تمضي إلى السهلة فاجعل ذلك بين المغرب والعشاء الآخر من ليلة الأربعاء وهو أفضل من غيره من الأوقات.

13- مسجد الحمراء

الحمراء جماعة فارسية نزلت (الكوفة) وأصلها من بلاد الديلم وبعض أماكن إيران وضواحيها وإلى هذه الجماعة أشار عمر بن الخطاب في كتابه إلى أُمراء الأمصار، قال (ومن أعتَقْتُم من الحمراء فأسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وإنْ أحبّوا أنْ يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أُسوة في العطاء).

وساوى الإمام علي بين هذه الجماعة وبين العرب ولم يفضّل أحدا على أحد فأكثر عليه بعض العرب اللّوم لذلك حتّى أنّ الأشعث بن قيس خاطب الإمام فقال: (غلبتنا هذه الحمراء على قربك) فأجابه الإمام (قرأت مابين الدفتين - القرآن - فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل.. أتأمروني أنْ أطلب النصر بالجور)؟

وفي أيام معاوية وصل عدد الحمراء في الكوفة عشرين ألفا ولما بلغه ذلك قال: (إنّي رأيت هذه الحمراء قد كثرت، وكأنني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان؛ فقد رأيت أنّ أقتل شطراً وأدع شطراً لإقامة الإقامة وعمارة الطريق) ثم أنّه عدل عن ذلك.

وكان مجيء المختار للكوفة عهد ازدهار لهذه الجماعة إذْ أنّه استطاع أنْ يستميلهم إليه بأعداد ضخمة وأنْ يحارب بني أميّة ومنّاهم بالغنائم والعطاء الكثير وأركبهم على الدواب حتى جاؤوا إليه متطوعين وكان عددهم في جيشه أضعاف عدد الأحرار، ويُروى أنّ جيش المختار بلغ (20000) أغلبهم من حمراء ديلم وروي أنّه لم يسمع في جيش المختار كلمة عربية واحدة.

وبعد فشل المختار انظموا إلى حركة عبد الرحمن بن الأشعث وحاربوا معه محاربة مستميتة وبعد القضاء على هذه الحركة وقتل زعيمها استطاع الحجاج أنْ يضيّق عليهم الخناق، وأرسل قسماً منهم لمحاربة الخوارج فهرب أغلبهم إلى الحجاز.

ومن هذه الجماعة ومن الموالي عامة نبغ الكثير من العلماء والأدباء والمحدثين، ساهموا في الحياة الفكرية ورفدوا نهضة الكوفة الأدبية والعلمية وظهرت آثارهم بيّنة خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة أي بعد فترة غير قليلة من المعيشة مع العرب والاحتكاك بهم وما وأكب هذه الفترة من ظروف التفاعل الحضاري والاجتماعي.

ومسجد الحمراء بالكوفة مسجد هذه الجماعة الشهير، وهو الذي يعرف بمسجد يونس بن متي (عليه السلام) نسبة إلى مرقد النبي يونس المتاخم للمسجد، قال المشهدي: (مسجد يونس بن متّى في ظهر السبخة وما حوله[1].

وورد في الأخبار أنّ الإمام علياً (عليه السلام) صلّى فيه وأنّه(عليه السلام) عدّه ضمن أربع بقاع قدس مقدسة في الكوفة، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): مسجد الحمراء وهو موضع في بستان لاتذهب الليالي والأيام حتى تنبع عنه عين تنطف ماء حواليه وفيه قبر أخي يونس بن متى[2].

والمسجد الحالي قائم على أنقاض بنائه القديم وكان مندثراً إلى عهد قريب إلاّ أنّه كان واضح المعالم والحدود ومحرابه الأصلي ما يزال تحت محرابه الحالي المشيد سنة 1312هـ إذ جُدّد بناء المسجد في هذه السنة، وممن أرّخ بناء المسجد، السيد الشاعر جعفر الحلي بقوله:

الحمد لله الذي مِنْ فضله	أحيى جميل مآثر القدماء
قد جددت آثار مسجد يونس	بأجل تاسيس وخير بناء
يا طالب الأعمال قد أرختـه	(اعمل فهذا مسجد الحمراء)

ونقش هذا التاريخ على القاشاني المثبت في أعلى باب المسجد الشمالية الوحيدة وعند تجديد المسجد أدخل المسجد الأصلي بحدوده البناء الجديد وجعل لبابه القديمة رسماً تحت درج سطح المسجد الذي يتاخم سور المسجد المشرف على الفرات، ثم أُضيف إليه مما يلي الشرق مقداراً واسعاً وكان بركة من الماء وألقي في التراب وطُمَّ من الأرض الجديدة وصار مأوى للزائرين والمسافرين في السفن، إبّان هذا القرن، حيث شهدت الكوفة الحديثة نشاطاً تجارياً منقطع النظير جعلها من أهمّ مراكز التجارة في الفرات الأوسط

وفي سنة 1342هـ شُيّدت للمسجد منارة اسطوانية يرقى إليها بسلّمين حلزونيين الأول من قاعدتها إلى سلّتها والثاني من السلّة إلى مقدمها، والسلة محاطة بمقرنصات جميلة الهيئة، وزينت القاعدة والوسط بنقوش على القاشاني الملون.

وقد بناها المعمار جواد البغدادي الكرادي (نزيل الكوفة انذاك) مع جمع من العمال المحليين من أهل الكوفة، والمتبرع بنفقات بنائها الحاج عبد الكريم الديوان (1874هـ - 1929 م) أحد تجار البصرة.

حدّثني بعض من اشتغل ببنائها أنّ (الديوان هذا بات ذات ليلة ببيت في جوار الفرات ولم يسمع آذان الفجر حيث لا توجد

---

(1) فضل الكوفة ومساجدها /17.

(2) مختصر كتاب البلدان ص173

منارة في مسجد النبي يونس، وعند الصباح أمر ببناء المنارة وانفق على عمارتها من ماله).

وأرّخ الانتهاء منها الشاعر الحاج مجيد الحلّي العطار بأبيات كُتبت على القاشاني المثبت على الطرف الغربي والأبيات هي:

رفعوا للأذان في مسجد الحمرا ... منارا على السهى يستطيل
ذاك (عبد الكريم) منه بناه ... فتسامى له مقام جليل
حبذا للصلاة داع فمنه ... لأداء الفروع قامت أصول
وعليه النداء أنْ أرِّخوه: ... (فالنداء التكبير والتهليل)

وفي زماننا هذا تمّ إعمار المسجد ولا زال الإعمار مستمراً

14- المرقد العلوي

بعد أنْ استشهد الإمام علي في محرابه من جراء ضربة المجرم عبد الرحمن بن ملجم حمله ولِدُه والصفوة من صحبه ليدفن ليلاً سراً بوصية منه في النجف حيث مرقده الآن وقد ثبت لدى المسلمين عامة أنّ قبره هذا هو الموجود الآن والذي إليه يفزع الملايين في مدار العام فلا يضرّ قول من ليس له تحرّز في التأليف ولا دقّة في التحقيق من الكتّاب المأجورين وغيرهم حيث زعم أنّه (عليه السلام) دُفِنَ في الرّحبة كيف وقد نفى إمامنا الصادق (عليه السلام) أكثر مرة ذلك.

عن صفوان الحمّال قال: كنت أنا وعامر وعبد الله بن جذاعة الأسدي عند أبي عبد الله (عليه السلام)، فقال له عامر: جعلت فداك إنّ الناس يزعمون أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) دفن في الرحبة، قال: لا. قال: فأين دفن؟ قال (عليه السلام): إنّه لما مات احتمله الحسن فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف يسرة عن الغري يمنة عن الحيرة فدفنه في ذكوات بيض. فلما كان بعد ذلك ذهبت إلى الموضع فتوهمت موضعاً ثم أتيته فأخبرته فقال لي: أصبت رحمك الله ثلاث مرات[1]

والربوات البيض هنّ ثلاث جبال: شرشيفان ويقع جنوب الحرم من محلة العمارة، وجبل الثور ويقع في شرق الحرم من محلة البراق، وعرف الديك ويقع شمال الحرم من محلة المشراق، ولكن هذه الجبال قد إندرست في الشوارع المبلطة حديثاً.

أما حدّ الحمى، كما هو شائع من كلّ جانب من الضريح الحالي فرسخاً واحداً وما بين السدير إلى الثوية عرضاً، فالقبر واقع فيما بين الربوات البيض الثلاث.

وأخذ الأصحاب يزورونه واحداً بعد الآخر ويدلُّ بعضهم البعض على موضع القبر، وتسارعت الشيعة بعد إعلان صفوان الجمّال لزيارته للقبر مع أبي عبد الله (عليه السلام)، فهذا عامر بن يزيد يستصحب جماعته لزيارته: عن عبد الله بن سنان قال: أتاني عامر بن يزيد فقال لي: اركب فركبت معه فمضينا حتى أتينا منزل حفص الكناني فاستخرجه فركب معنا، ثم مضينا حتى أتينا الغري فانتهينا إلى قبر فقال: انزلوا، هذا قبر أمير المؤمنين (عليه السلام). فقلنا: من أين علمت؟ فقال: أتيته مع أبي عبد الله (عليه السلام) حين كان بالحيرة غير مرة وأخبرني إنّه قبره[2].

وزعم بعض الناس إنّه دفن في المسجد ونشأ هذا الزعم من ثلاثة أوجه:

الأول: الأخبار بأن سفينة نوح قد رست في مسجد الكوفة.

الثاني: ما فعله الإمام الحسن (عليه السلام) من حفر أربعة قبور وهميّة واحد منها في المسجد.

الثالث: أخبار أهل البيت (عليهم السلام) بأنّه دفن عند جده نوح.

فبالنظر إلى هذه الوجوه الثلاثة بنى بعض الشيعة شبهة دفنه (عليه السلام) في المسجد وشدّد أهل البيت (عليهم السلام) على نفي ذلك مطلقا:

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أين دُفِنَ أمير المؤمنين؟ قال (عليه السلام): دُفِنَ في قبر أبيه نوح. قلت: وأين نوح إنّ الناس يقولون إنّه في المسجد؟

قال (عليه السلام): لا ذاك في ظهر الكوفة[3].

وعنه (عليه السلام): قال: قبر علي في الغري ما بين صدر نوح ومفرق رأسه مما يلي القبلة[4].

وقد أحال الإمام الرضا (عليه السلام) أحد أصحابه لأنّه أصوب من الجمع الذين يقولون بأنه في المسجد لأنّه أخذ بقول الإمام الصادق (عليه السلام)، عن الحسن بن الجهم بن بكر قال: ذكرت لأبي الحسن (عليه السلام) عيسى بن موسى وتعرّضه لمن يأتي قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإنّه كان ينزل موضعا يقال له الثوية يتنزه إليه وكان قبر أمير المؤمنين فوق ذلك قليلاً وهو الموضع الذي يروي صفوان الجمّال أنّ أبا عبد الله وصف له قال له فيما اذكر: إذا انتهيت إلى الغري ظهر الكوفة فاجعله خلف ظهرك وتوجّه نحو النجف وتيامن قليلاً، فإذا انتهيتَ إلى الذكوات البيض والثنية أمامه فذلك فيه قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأنا آتيه كثيراً. ومن أصحابنا من لا يروي ذلك، يقول هو في المسجد، وبعضهم يقول هو في القصر، فأرد عليهم إنّ الله لم يكن ليجعل قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)

(1) أصول الكافي ج1ص 379.

(2) أصول الكافي ج1 ص 380، فرحة الغري ص 63.
(3) فرحة الغري ص 70.
(4) فرحة الغري ص 70.

في القصر في منازل الظالمين[1] ولم يكن يدفن في المسجد وهم يريدون ستره فأيّنا أصوب؟

قال (عليه السلام): أنتَ أصوَبُ منهم؛ أخذت بقول جعفر بن محمد (عليه السلام).

قال ثم قال لي: يا أبا محمد ما أدري أحداً من أصحابنا يقول بقولك ويذهب بمذهبك.

فقلت له: جعلت فداك أما ذلك شيء من الله؟ قال (عليه السلام): أجل، إنّ الله يوفّق من يشاء ويؤمن عليه، فقل ذلك بتوفيق الله فاصمد عليه[2].

وعن أيوب بن نوح قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)؛ إنّ أصحابنا قد إختلفوا في زيارة قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال بعضهم بالرحبة وقال بعضهم بالغري فكتب: زُرْهُ بالغري.

وقد أخفى أهل البيت سلام الله عليهم قبر أمير المؤمنين طوال عهد الدولة الأموية خوفاً أنْ تنتهك حرمته من قبل أعدائه الذين استمروا يسبّونه على المنابر ثمانين عاماً ومعهم الخوارج وأنْ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يخشى أنْ يقدم هؤلاء على نبش قبره فتثور بني هاشم لذلك، فيتسنى للأمويين عذر في استئصالهم فهم كانوا يلتمسون الذرائع لقتلهم، لذلك أخذ أهل البيت (عليهم السلام) يتعاهدون على إخفاء قبره عن العامة عملاً بما أوصى به جدّهم أمير المؤمنين (عليه السلام).

وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ إلى حسين وأوصى قبلَهُ الحَسَنا

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أمرَ ابنه الحسن أنْ يحفر له أربعة قبور في أربعة مواقع، في المسجد وفي الغري وفي دار جعدة بي هبيرة المخزومي وفي الرحبة، وإنما أراد بهذا أنْ لا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره.

وبنو مروان أيضا كانوا سبباً في إخفائه، فإنّ الذين انتهكوا حرمته في حياته وحاربوه ثم قتلوه وعمدوا إلى ولده فقتلوهم، كيف يكون لديه حرمة عندهم بعد وفاته؟ وقد صدقت نبوءة أمير المؤمنين في ذلك حين رمي نعش الإمام الحسن (عليه السلام) بسبعين سهما لا لشيء إلاّ لأنّه جيء به ليجدد عهدا بزيارة جدّه المصطفى فهذا السبب هو أبرز الأسباب التي دعت أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أنْ يوصي أبناءه باخفاء قبره والتمويه عليه.

عن صفوان الجمّال قال: خرجت مع الصادق من المدينة أريد الكوفة فلما جزنا باب الحيرة قال: يا صفوان، قلت: لبيك يا بن رسول الله، قال: اخرج المطايا إلى القائم وجدَّ الطريق إلى الغري. قال صفوان: فلمّا صرنا إلى قائم الغري أخرج رشاء كان معه دقيقا قد عمل من الكنبار، ثم تبعّد من القائم مغرباً خطىً كثيرة ثم مدّ ذلك الرشاء حتى إنتهى إلى آخره فوقف، ثم ضرب بيده إلى الأرض، فأخرج منها كفّاً من تراب فشمّه مليّاً ثم أقبل يمشي حتى وقف على موضع القبر، الآن ثم ضرب بيده المباركة إلى التربة فقبض منها قبضة ثم شهق شهقة حتى ظننت أنّه فارق الدنيا، فلمّا أفاق قال: ها هنا والله مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم خطّ تخطيطاً، فقلت يا بن رسول الله ما منع الأبرار من أهل بيته من إظهار مشهده؟ قال (عليه السلام): حذراً من بني مروان والخوارج أنْ تحتال في أذاه (عليه السلام)[3].

وبعد أنْ علم بعض الأصحاب أنّه يدفن في ظهر الكوفة عند قبر نوح وخوفا من صفة (حدثناكم فأذعتم) هيّأ الله سبحانه وتعالى لقبره وسيلة إخفاء غيبية إلاّ لمن إرتضى من خلقه إلى حين زوال السبب المانع من الإظهار.

عن مولى لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: لما حضرت أمير المؤمنين الوفاة قال للحسن والحسين (عليهما السلام): إذا أنا متُّ فاحملاني على سريري ثم أخرجاني واحملا مؤخرة السرير فإنكما تكفيان مقدمه ثم إئتيا بي الغريين فإنكما ستريان صخرة بيضاء فاحتفروا فيها فإنكما ستجدان فيها ساجة فادفناني فيها. قال: فلما مات أخرجناه وجعلنا نحمل مؤخرة السرير ونُكفى مقدمه وجعلنا نسمع دويا وحفيفا حتى أتينا الغريين فإذا بصخرة بيضاء تلمع نورا فاحتفرنا فإذا ساجة مكتوب عليها: هذا ما إدخره نوح لعلي بن أبي طالب، فدفناه فيها وانصرفنا ونحن مسرورون بإكرام الله تعالى لأمير المؤمنين، فلحقنا قوم من الشيعة لم يشهدوا الصلاة عليه فأخبرناهم بما جرى وبإكرام الله تعالى لأمير المؤمنين (عليه السلام) فقالوا: نحبُّ أنْ نعاين من أمره ما عاينتم فقلنا لهم: إنّ الموضع قد عفي أثره بوصية منه.

فمضوا وعادوا إلينا فقالوا إنّهم إحتفروا فلم يروا شيئا[4]

قد علمت أنّ أهل البيت (عليهم السلام) جميعاً يعلمون أين موضع

(1) كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يسمّي قصر الإمارة قصر الخبال وحين جاء إلى الكوفة قال: قصر الخبال لا تسكنوني فيه، واستأجر دار بن أخته جعده بن هبيرة المخزومي، وهي بيته الموجود الآن وجايز أن يسكن أهل العدل في مساكن الظالمين. وعن سعد بن عمر عن غير واحد ممن حضر أبا عبد الله ورجل يقول قد بنيت دار صالح ودار عيسى بن علي ذكر دور العباسيين فقال رجل: أرانا الله عزوجل خرابا أو خربها بأيدينا فقال له أبو عبد الله: لا تقل هكذا بل يكون مساكن القائم وأصحابه أما سمعت الله يقول (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ـ سورة إبراهيم / 45) تفسير العياشي 252/2.

(2) فرحة الغري ص 103.

(3) فرحة الغري ص 92.

(4) فرحة الغري ص 37.

قبره بل إنّ بعض خواص الشيعة أيضاً يعرفون موضع قبره قبل وفاته، وقد زاره ولداه الحسن والحسين وزاره السجاد والباقر(صلوات الله عليهم أجمعين)، ولكن بعد أنْ احتدم الصراع بين الأمويين والعباسيين في عصر الإمام الصادق (عليه السلام) وانشغل الخوارج فيما بينهم فرقاً وأحزاباً ولم يعد أحدٌ يشغله أمر علي بن أبي طالب، إذ كان له بنفسه شغل، أظهر الإمام الصادق (عليه السلام) قبر جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) وزاره وأوصى بزيارته.

وهذا الإظهار الذي سمعت عنه كان لخواص الشيعة وكان الصحابيُّ إذ يستنصحه الإمام الصادق (عليه السلام) لزيارة جدّه يساله: أتاذن لي أنْ أخبر أصحابنا بالكوفة فيجيب الإمام بالموافقة فاشتهر بين الشيعة ظهوره.

الطوى الشريف كما رسمه الرحالة التركي العراقي (القرن العاشر الهجري)

أما الإظهار للعامة من المسلمين، فكان في أيام داود العباسي المتوفى سنة 133 هـ حيث أصلحه وعمل عليه صندوقاً، وبعد اشتهار إظهاره من خلال زيارة الإمام الصادق (عليه السلام) مع صفوان الجمال وبيانه (عليه السلام) ما للزيارة من الفضل، إضطرب العباسيون لذلك فأراد أبو جعفر الدوانيقي الخليفة في حينه أنْ يتبين الحال بحفر القبر.

سأل أحمد بن عيسى بن يحيى الحسن بن يحيى في حديث قبر علي (عليه السلام) عن حديث صفوان الجمّال: فقال: نعم أخبرني مولى لنا من موالي لبني العباس قال قال لي أبو جعفر المنصور: خُذْ معك معولاً وزنبيلاً وامضِ معي. قال: فأخذت ما قال وذهبت معه ليلاً حتى أتى الغري فإذا قبر فقال: أحفر فحفرت حتى بلغت اللحد فقلت: ـ هذا قبر قد ظهر. فقال: طمّ ذلك، هذا قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) إنما أردت أنْ أعلم[1]

(1) فرحة الغري ص 118.

وخرج هارون يوماً للصيد، وأرسل الصقور والكلاب على الضباء بجانب الغريين، فجاولتها ساعة ثم لجأت الضباء إلى الأكمة؛ فرجعت الكلاب والصقور عنها، فسقطت في ناحية ثم هبطت الضباء من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب ترجع إليها فتراجعت الضباء إلى الأكمة؛ فانصرفت عنها الصقور والكلاب، ففعلت ذلك ثلاثاً فتعجّب هارون وسأل شيخاً من بني أسد: ما هذه الأكمة؟، قال: لي الأمان؟ قال: نعم. قال: فيها قبر الإمام علي بن أبي طالب. فتوضأ هارون وصلّى ودعا ثم أظهر الصادق موضع قبره بتلك الأكمة[2].

وقد نظم هذه القصة السماوي في إرجوزته المعروفة فقال:

فلاذ بين الرِّبَوات البيض ... وما انبرى الفهد مع التحريضِ
بل انثنى من دونهنَّ واقفا ... فظنّه من قد رآه خائفا
ثم عدا الجؤذر والفهدُ عَطَفْ ... فعاود الجؤذر والفهدُ وقَفْ
وهكذا فاستغربَ الرشيدُ ... من صنع فهدٍ لم يزل يصيدُ
ثم دعا شيوخ تلك الناحيه ... فقال: هذه الربوات ما هيه
فقال هذا جدث بن عمِّك ... من لحمه مختلط بلحمك
قبر أمير المؤمنين المرتضى ... قد زاره جلُّ بنيه ومضى
وافيتهم أنا ووافاهم أبي ... وجملة من قدماء العربِ
فاعتقد الرشيد في كلامه ... وزاد ما شاء في إكرامه
ثم بنى فيه قبة إبتداءا ... وضم فيها حبرة خضراءا
وعرف الناس بتلك التربه ... وربّما صلّى هناك قربه[3]

مختصر وصف المرقد العلوي

ويقع وسط المدينة القديمة المسوّرة تماماً، أمّا الآن فهو يقع في طرفها الغربي على بعد 1 كم من الهضبة (النجف)، العمارة القائمة على القبر الشريف الآن هي العمارة التي بناها صفي حفيد الشاه عبّاس الأول عام 1047 هـ / 1637 م، وقد أجري عليها كثير من التطويرات كالتذهيب الذي تم بأمر السلطان نادر شاه، واستمر التجديد في عصرنا الحاضر، ومن ذلك إعادة تذهيب القبة الشريفة عام 1392 هـ / 1972 م من قبل الحاج محمد رشاد ميرزة أحد أبناء النجف الأشرف. وحول الضريح وفي خزائنه نوادر يتيمة من التحف ذات قيمة معنوية وفنية ومادية كبيرة، وهو أبرز معالم النجف الأشرف، والروضة المقدّسة التي في وسطها القبر الشريف مربّعة الشكل، طول ضلعها ثلاثة عشر متراً، وأرضيتها مفروشة بالرخام الإيطالي

(2) الخرايج والجرايح ص 21، بحار ج42 ص224، إرشاد القلوب ص 435، فرحة الغري ص 119، رسول، مقتل الإمام علي (عليه السلام) ص 221.
(3) وشي الشرف ص 16.

المصقول وكذلك الجدران إلى ارتفاع حوالي مترين مغطاة بالرخام وما يعلو ذلك، وقد كسي بالمرايا الملونة والزخارف الهندسية البديعة وبالفسيفساء ذات الأشكال الجميلة، وفي وسط الحضرة يكون القبر الشريف، وقد وضع عليه صندوق من الخشب الساج المطّعم بالعاج المنقوش عليه بعض الآيات القرآنية محاطاً بشباكين الأول مما يلي صندوق الخشب من الحديد الفولاذ المصقول والزجاج، والثاني من الفضة يعلوها تاج من الذهب الخالصين يضاء بصف من القناديل الجميلة من الجهات الأربع، ويقدر ما فيه من الفضة بمليوني مثقال وما فيه من الذهب بعشرة آلاف مثقال، وقد كتب في أعلاه أبيات من قصيدة لابن أبي الحديد وأبيات من قصيدة السيّد الحميري. وللروضة أربعة أبواب على الرواق اثنان ذهبيان مطّعمان بالميناء مقابل باب الرواق الذهبي المطعم بالميناء أيضاً واثنان فضيان من جهة الشمال، ومقابل كلّ بابين شباك كبير يطل على الرواق. وتعلو القبر الشريف قبة جميلة واسعة مرتفعة عن أرض الروضة المقدسة بـ (35) متراً ومحيط قاعدتها (50) متراً وقطرها حوالي (16) متراً وللقبة (12) شباكاً وهي مزينة من الداخل بالفسيفساء الرائعة وبنقوش أسماء الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وبعض آيات من الذكر الحكيم، ومقطوعات من الشعر العربي في مدح الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومطلية من الخارج بالذهب الخالص، ويقدّر الطابوق الذهبي الذي يزينها بـ (7777) طابوقة. وتقع الروضة وسط رواق يبلغ ارتفاعه (17) متراً وطوله (31) متراً وعرضة (30) متراً مزدان بالمرايا ذات الأشكال الهندسية المختلفة منقوش ببعض السور القرآنية وفيه أربعة أبواب، بابان في الإيوان الذهبي المعروف بـ (الطارمة)، يقع الكبير منها وسط الإيوان مقابل الساعة للصحن الشريف، وهو من الذهب المطّعم بالميناء كتب على جبهته الحديث النبوي الشريف: (عليّ مع الحق، والحق مع عليّ، ولن يفترقا حتىّ يردا عليَّ الحوض)، ويقع الصغير منهما تحت المئذنة الشمالية وهو من الفضة، وباب ثالث مقابل القبلة للصحن الشريف، ورابع مقابل باب الطوسي للصحن أيضاً وكلاهما من الفضة، ويتصل بالرواق من الصحن جهة الشرق وعند المدخل العام للحرم إيوان ذهبي يعرف بـ(الطارمة) يرتفع عن أرض الصحن متراً واحداً ويبلغ طوله (33) متراً. وعلى جانبي الإيوان مئذنتان اسطوانيتا الشكل ارتفاع كلّ منهما (35) متراً ومحيط قاعدة كلّ منهما يقرب من (8) أمتار وقطرها (2. 5) متر، وهما ذهبيتان ويحيط بالروضة. والرواق فناء كبير يعرف بالصحن ارتفاعه (17) متراً وطول ضلعه الشمالي (74) متراً والجنوبي (57) متراً والشرقي والغربي (84) متراً مزدان بالقاشاني منقوش بأبدع النقوش مكتوب عليه الآيات القرآنية وفيه ما يقرب من (100) غرفة وأربعة إيوانات متقابلة وله خمسة أبواب، وهي:

1 - **باب الساعة**، وهو المقابل لسوق الكبير من جهة الشرق، ويعتبر الباب الرئيسي.

2 - **باب السلام**، ويقع إلى جانب باب الساعة مقابل قيصرية (العبايجية) بائعي العباءات.

3 - **باب الطوسي**، مقابل شارع الطوسي إلى جهة الشمال.

4 - **باب الفرج**، ويقع مقابل سوق العمارة إلى جهة الغرب.

5 - **باب القبلة**، ويقع مقابل شارع الرسول(صلى الله عليه وآله) إلى جهة الجنوب. وعلى الباب الرئيسي للصحن الشريف ساعة كبرى ذات جرس ناقوسي، وأربعة وجوه عليها قبة مطلية بالذهب الخالص.

ملامح من تاريخ عمارات المرقد العلوي المطهر

العمارة الأولى:

بعد ظهور القبر الشريف على يد (هارون الرشيد) نحو سنة 170 هـ بنى على القبر قبة، وجعل لها أربعة أبواب من طين أحمر، وطرح على رأسها جرة خضراء، وبني الضريح المطهر بحجارة بيض إذ أنّ هذه العمارة تعد أول عمارة كانت للمرقد الشريف كما ذكر الشيخ المفيد -في كتاب الإرشاد- عن عبد الله بن حازم أنّه قال: خرجنا يوما مع الرشيد إلى الكوفة لنتصيّد فصرنا إلى ناحية الغريين فرأينا ضباءً فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فحاولتها ساعة، ثم لجأت الضباء إلى أكمة فوقفت عليها، فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب، فتعجّب الرشيد من ذلك، ثم أنّ الضباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب، فرجعت الضباء إلى الأكمة فتراجعت الصقور والكلاب، ففعلت ذلك ثلاثاً فقال هارون العباسي: أركضوا فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد فقال له هارون: أخبرني ما هذه الأكمة؟! قال: إنْ جعلتَ لي الأمان أخبرتك قال: لك عهد الله وميثاقه أنْ لا أهيجك ولا أوذيك فقال: حدثني أبي عن إبائه أنّهم كانوا يقولون أنّ في هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب جعله حرما آمناً لا يأوي إليه شيء إلاّ أمن به، وقد ذكر ابن طاووس أنّ الرشيد بنى عليه بنياناً بـ (آجر أبيض) أصغر من هذا الضريح وبنى عليه قبة من طين أحمر وطرح على رأسه جرةً خضراء.

واختلف في تاريخ بناء هذه العمارة، فقد ذكر الشيرواني بأنّها بنيت في سنة (155) وقيل (170) هـ وهي الأولى. وإلى ذلك أشار السماوي في أرجوزته قائلاً:

ثم بنى من صنع ذاك الجؤذرِ ... هرون قبة بطين أحمرِ
وشادها فوق الثرى بالفضة ... والآجر الأبيض مثل الفضة
وزانها بجرة خضراء ... مقلوبة من فوقها غضراء
وجعل القبَّة في أبوابِ ... أربعة للزائر الأوّابِ
كما رأى الجرة في الخزانه ... من شاد روض قبره وزانه
وفي حليّ المرقد الشريفِ ... رسم له في مرمر لطيفِ

ينتـؤ فيـه هيكـل الرشـيدِ والجـؤذر الـرابض بالوصـيدِ[1]

العمارة الثانية

وهي عمارة عمران بن يحيى(عليه السلام) القـائم بالكوفـة ذكـره النوري في مستدركه أنّـه عمَّـر مرقـد جـدِّه مـن خـالص مالـه وكان(عليه السلام) من أصحاب الإمام الكاظم قتـل سـنة250 وحمـل رأسه إلى المستعين العباسي.

وهو المجاهد الشريف (محمد بن زيد بن محمد إسـماعيل بن الحسن بن زيد بـن الحـسن السبط المعـروف بـ (الـداعي الصغير) ملك طبرستان أكثر من سبع عشرة سنة ثم قتل سـنة (287هـ) عمَّرالمرقـد بعـدما خـرّب العمـارة الأولـى (المتوكّـل العبّاسي) ـ مثلما فعل بعمارة الحسين (عليه السلام) ـ سنة 236 هـ.

فإنّه بنى على القبـر الـشريف قبـة وحـصناً (سـوراً) فيـه سبعون طاقاً (إيواناً).

وبعدها بقليل قام أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان) ببناء حـصار (سور)، وقبّة عظيمة على القبر رفيعة الأركان مـن كـلّ جانـب لهـا أبواب، وسترها بفاخر الستور وفرشها بثمـين الحـصر الـساماني، وأنْ هذا البناء يُعد إحدى الظواهر الغيبية التـي أنعـم الله عـز وجـل على آل البيت الرسول (صلى الله عليه وآله)، إذ أخبر الإمام جعفـر الـصادق (عليه السلام) أصحابه بهذا البناء بتفاصيله الدقيقة قبل عشرات السنين من بنائه. وذلك عند زيارته قبر أمير المؤمنين عن فرات بـن أحنـف، قـال: كنـت مع أبي عبد الله ونحن نريـد زيـارة أميـر المـؤمنين، مـضى ومـضيت معه، حتى انتهى إلى موضع، فنزل وصلّى ركعتـين، قـال هـا هنـا قبـر أمير المؤمنين أما إنّه لا تذهب الأيام حتى يبعث الله رجـلا ممتحنـا فـي نفسه في القتل، يبني عليه حصناً، فيه سبعون طاقاً.

وعبـر الـسنين طـرأت علـى هـذه العمـارة إضـافات وإصلاحات منها ما قام به عمر بن يحيى القـائم بالكوفـة، كمـا ذكر ذلك المحدّث النوري وذكـر ابـن حوقـل: أنّ هنـاك عمـارة أخرى قبل عمارة عضد الدولة..

وضرب أبو الهيجاء عبد الله بن حمـدان علـى هـذا المكـان حصاراً منيعاً وابتنـى علـى القبـر المطهـر قبـة عظميـة رفيعـة الأركان لها أبواب من كل جانب، وقد ذكر هذه العمارة ابن أبـي الحديد وإليها أشار السماوي في أرجوزته قائلاً:

ثم بنى الداعي بن زيد الحسني	قبته بالشيد والطرز السني
وقـد أدار حائطـا تَـضَمَّنا	سبعين طاقاً مـسكناً ومامنـا
تكـون للزائـر حيـدراً محـل	ويأمن السور بها من الخلـل
وكان ذا في التسع والسبعينا	والمئتـين فـالحظ الـسنينا

(1) ظ: عمدة الطالب ص42، ينظر: ارشاد القلوب للديلمي، ورياض السياحة لزين العابدين الشيرواني ص309، ونزهـة القلـوب لحمـد الله المـستوفي ص134، وشي الشرف.

كمـا أتـت روايـة عـن جـدِّه	يذكر فيها سـوره عـن حـدِّه
وكـان ذا فـي سـنة الـستّينا	من رابع القرون فـي المئينـا
من بعد تاسيس معزِّ الدولـه	البيعة والملـك لـه والـصوله
ثم بنى حسناً ملوك الـشيعه	من كل فخم ضخم الدسـيعه
كالناصـر الخليفـة العباسـي	وكخـدا بنـد العظـيم البـاس
وكابن المهدي الوزير ذي العـلا	وكـالوزيرين العطـاء والعـلا
ووضعوا التبـر بـه والفـضة	معززين واسـتهانوا القـضة
وأكثروا الساج هناك فـاحترق	بضوء قنديل بـه قـد اعتلـق[2]

العمارة الثالثة

وهي مـن أجمـل العمـارات وأحـسن مـا وصـل إليـه فـن الهندسـة في ذلك العصر.

قام ببنائها (عضد الدولة البويهي ت 372 هـ) سـنة 367 هـ فقد بـذل عليهـا الأمـوال الكثيـرة، وجلـب لهـا أمهـر الفعلـة والمهندسين مدّة سنة كاملة، وكان يشرف علـى البنـاء بنفـسه، حتّى أتم العمل بها، ووزّع الأموال الطائلة على سكان النجف

وفيها يقول ابن الحجاج الشاعر:

يـا صـاحب القبـة البيـضاء علـى النجـف
مـن زار قبـرك واسـتـشفى لـديك شـفي

وقد طرأت على هذه العمارة إصلاحات كثيرة وتحـسينات من قبل البويهيين أنفسهم، ووزرائهم، والحمدانيين، ومـن بنـي جنكيزخان وغيرهم حتّـى وصـلت إلـى ذلـك الـشكل والأثـاث والزينة الّتي رآها ابن بطوطة حيث قال متحدثاً عن النجف بعـد أنْ زارها سنة (727هـ)، فوصف البلـدة وأسـواقها ومدارسـها وما في الصحن الشريف من نفائس وتحف.. ثم وصف ما يقوم به سدنة المرقد المطهر مع الزوار القادمين من أمـاكن مختلفـة ثم أعطى وصفاً شاملاً للقناديل المعلقة وللمسطبة ومـا كـسيت به ويذكر ارتفاعها وما فيهـا مـن القبـور فيقـول: فيزعمـون أنَّ أحدها (قبر أدم (عليه السلام)) والثـاني (قبـر نـوح (عليه السلام)) والثالـث (قبـر علي رض الله عنه)، ثـم يـذكر الطـشوت المـصنعة مـن الـذهب والفضة التي بين القبور وما فيها من ماء الورد والمسك وأنواع الطيب.. وكيف يأتي الزائر فيغمس يده فيها ويدهن وجهه تبركاً.

وهذه العمارة كانت موجـودة سـنة (338هـ).. وأنَّهـا مـا زالت باقية كما هي إلى سنة (753هـ) وقـد امتـدّت إلـى هـذه العمارة ألسنة النيران وأكلت ما فيها من أثاث وأخشاب وأتلفت القناديل واللوحات.

ثم بنى المقام عـضد الدولـه	ابـن بويـه وبنـى مـا حولـه

(2) ظ: مستدرك الوسائل 3/435، صورة الأرض ص43، شرح نهج البلاغـة 54/2، وشي الشرف، مدينة المعاجز ج4 ص225.

وشيد الضريح في صندوق ... مرخى عليه الستر لا مرموق
ووسع القبة ثم أفضى ... بها إلى العلوّ طولا عرضا
وأزّر الجُدْرَ لها بساج ... مرتفع مرصع بعاج
وعمّر البلدة والأسواقا ... وحصّن السور على ما راقا
وخصّص الأوقاف للقوّامِ ... وساكني البلدة والمقامِ
وكان ذا في سنة الستينا ... من رابع القرون في المئينا
من بعد تاسيس معزِّ الدولة ... البيعه والملك له والصوله
ثم بنى حسنا ملوك الشيعه ... من كل فخم ضخم الدسيعه
كالناصر الخليفة العباسي ... وكخدا بند العظيم الباس
وكابن المهدي الوزير ذي العلا ... وكالوزيرين العطاء والعلا
ووضعوا التبر به والفضة ... معززين واستهانوا القضة
وأكثروا الساج هناك فاحترق ... بضوء قنديل به قد اعتلق[1]

العمارة الرابعة

وهي الّتي حدثت في سنة 760 هـ بعد احتراق العمارة الثالثة، عمارة عضد الدولة البويهي سعى كثيرٌ من ذوي الجاه والسلطان من المتشيعّين إلى إعادة أعمارها وتحسينها فقد جددت من قبل عدة من المحسنين ولم ينسب بناؤها إلى أحد. وفعلاً أعيد أعمارها وزينت بأحسن النقوش وفرشت بالفرش الفاخرة لكنَّ أحداً لم يذكر شيئاً عمّن قام بتعميرها وتزيينها وفرشها.

ويعتقد الشيخ جعفر محبوبة أنّ هذه العمارة أقامها الأيلخانيون، ثمّ أصلحها بعدما تضعضعت الشاه (عباس الأوّل) فإنّه عمّر الروضة المطهرة والقبة والصحن.

وقيل أنّها عمارة عبد الله بن حمدان أبي الهيجاء ذكرها ابن حوقل: (جعل عليه حصاراً منيعاً وبنى على القبر الشريف قبّة عظيمة رفيعة الأركان من كل جانب لها أبواب).

وممن اشتهر بإصلاح هذه العمارة الشاه عباس الأول المعروف بآثاره الجميلة في النجف الأشرف.

وقيل أنها للشيخ حسن الجلائري وربما يُرجّح القول الأول لوجود آثار لعصرهم في محراب جامع الرأس إذْ أنّ هذا المحراب يرجع إلى النصف الثاني من القرن السابع أو أوائل الثامن على ما ذكرته الدكتورة سعاد ماهر في رسالتها.

في عام خمسة وخمسين ورا ... مئاته السبع على ما حررا
فقام في بناء ذاك الدائر ... اويس بن الحسن الجلائري
واعتاض من اخشابه الرخاما ... هياكلاً منحوتة ضخاما

(1) ظ: إرشاد القلوب ص148، رياض السياحة ص309، تاريخ طبرستان1/ 224، فرحة الغري ص53. رحلة ابن بطوطة، وشي الشرف.

مرصوفة على اعتدال سمت ... في حسن شكل وبديع نحت
رأيت منها قطعاً رواقي ... في جوف سرداب من الرواق
وتم في خمس سنين تهيئة ... في سنة الستين والسبع مئه
بعزمة الصدر الكفيء الآوي ... والفخر ذي التحقيق في الفتاوي
وخزنا به كتباً لا تحصى ... لاسيّما الآوي حين أوصى
لابن أخيه في شراء الصُّحُفِ ... من ثلثه وجعلها في الوقف
وكانت الكتب في ذلك الزمن ... تحصل للمبتاع في أدنى الثمن
لأنّ بغداد أُصيبت بغَلا ... فصيّرت كتب العلوم مأكلا
واستبدلَتْ كُتُبَهم بالغَلّة ... أهل الغريين وأهل الحلة[2]

العمارة الخامسة

عمارة الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأوّل أحد السلاطين الصفوية. فإنّه أمر أنّ يوسّع الصحن الشريف - بعدما كان ضيقاً - ومن ثمّ الحرم المطهر.

وكان المتصدي لهذه المهمّة وزيره (ميرزا تقي المازندراني)، فأقام في هذا العمل ثلاث سنين مع جميع الفعلة والمهندسين حتّى أتمها.

وكان الابتداء بها سنة 1047 هـ إلى وفاة الشاه (صفي) سنة 1052 هـ فأتمها ولده الشاه عباس الثاني.

وهي من أجمل العمارات الإسلامية مع فخامة وهندسة وريازة وفن بديع، بقبة تطاول السماء، ومنارتين كأنّهما عمودا نور.

لم تزل العمارة المذكورة مرصّعة بالحجر القاشاني حتّى زمن السلطان (نادر شاه) سنة 1156 هـ فإنّه لمّا ورد النجف زائراً أمر بقلع الحجر القاشاني عن القبة والإيوان والمأذنتين وتذهيبها، وصرف على ذلك أموالا طائلة.

وقد أمر وزير الشاه صفي بإجراء بعض التعديلات على الحرم الشريف فوسع ساحته.. وبأمر من الشاه صفي أوعز إلى العاملين بجلب ماء الفرات إلى النجف وكانت المدينة بأمسِّ الحاجة إليه.

(المنتظم الناصري، 82/2، ماضي النجف، 50/49).

ذكرها السماوي في إرجوزته:

ثم بنى الشاه الصفي الصفوي ... حفيده أبهى بناء علوي
قبرا رخاما دونه شباك ... لا الشمس تحكيه ولا الأفلاك

(2) ظ: نزهة الناظر لمحمد بن سليمان بن زوير السليماني، رسالة أهل الحرمين، لحسين الصدر الكاظمي.، المنتظم الناصري لمحمد حسن خان، 179/2. صورة الارض240، ماضي النجف وحاضرها، ملحق روضة الصفا لرضا قلي.

وقبّة بين منارتين ... كالشمس قد حُفّت بكوكبين
تعلو على الروضة في دعائم ... إلى بناء للدعاء قائم
فمن رواق دار كالنطاقِ ... له ومن بهو لدى الرّواقِ
طاف به الصحن ثلاثين قدم ... إلاّ محل الرأس فهو محترم
فيه قباب تتوازى وغرف ... من فوقها فهي بصف فوق صف
وزين القبة بالكاشاني ... تزييناً يفقأ عين الشاني
وصيّر المدخل للمقامِ ... ستة أبواب له سوام
اثنين للرأس وللرجلين ... مثلهما واثنين للجنبين
وللرواق خمسة فواحد ... من جهة البهو وهذا السائد
ولليمين واليسار مثنى ... والرأس لم يُرقَ له ويُدنى
ونظّم الصحن على أبواب ... ثلاثة للجيء والذهاب
في الشرق والجنوب والشمال ... فارّخوا دان لذي المعالي[1]
وافتحوا في الشرق باب السوق ... وآخر في الغرب للطروق

العمارة السادسة

هي عمارة الشاه صفي الصفوي وهي العمارة الموجودة اليوم بعد مرور مدة طويلة على العمارة السابقة عليها حيث تصدّعت القبة المنوّرة وكان الصحن الشريف ضيقاً فأمر الشاه صفي وزيره الميرزا تقي المازندراني بهدم العمارة السابقة وإعادة بناء عمارة جديدة بدلاً منها فأقام الميرزا في النجف ثلاث سنين وجمع فيها المعماريين والمهندسين لبناء المرقد الطاهر وقد قيل أنّ ابتداء العمارة كان في سنة (1047) للهجرة واختلف في وضع تصميم هذه العمارة هل هو من قبل الشيخ البهائي أم غيره، وقد نفى ذلك بعض المؤلفين وأثبته البعض الآخر وأجريت على هذه العمارة إصلاحات كثيرة أهمها إصلاحات نادر شاه في تذهيب القبة المنورة والمأذنتين والإيوان وذلك بعد زيارته سنة (1156) هـ وكانت قبل تذهيبها مغلفة بالحجر القاشاني.

العمارة السابعة

ولعل التذهيب للقبة المشرفة هو المعني به بالعمارة السابعة إذ لم أجد ممن كتب في تاريخ النجف أنّه أشار إلى عمارة مستقلة.

وإليها أشار السماوي في أرجوزته بقوله:

ثم بنى القبة بالنُّضارِ ... نادر إذ جاء من الزوار
وزان بالفسيقساء الداخلا ... مما على الشباك كان ماثلا
وأصلح الصندوق والشباكا ... وخلع التاج به ملاكا
فأرّخوا الوقت بشطر جلّى ... نور على نور لكم تجلّى[2]
وزانت المأذنتين بالذهب ... بضعته من بعد حول يحتسب
وأرخوا (سعداً عظيماً)[3] ويرى ... في كوة اليسرى لمن قد نظرا
وفي النطاق المعتلى في الغابة ... تاريخ ذاك فانظر الكتابة
وفي النطاق الثالث التاريخ في ... عمارة للشاه عباس الصفي

15- مصاحف بخط الإمام علي (عليه السلام)

توجد في العراق ثلاثة مصاحف تنسب إلى الإمام علي (عليه السلام) تعتبر من الآثار الباقية حتى اليوم للإمام -إنّ ثبتت صحة النسبة- وإلاّ ففي صحة نسبة هذه المصاحف كلامٌ لم يحسم بعد، وهذه المصاحف هي:

الأول: في خزانة مخطوطات مكتبة الحرم العلوي المطهّر

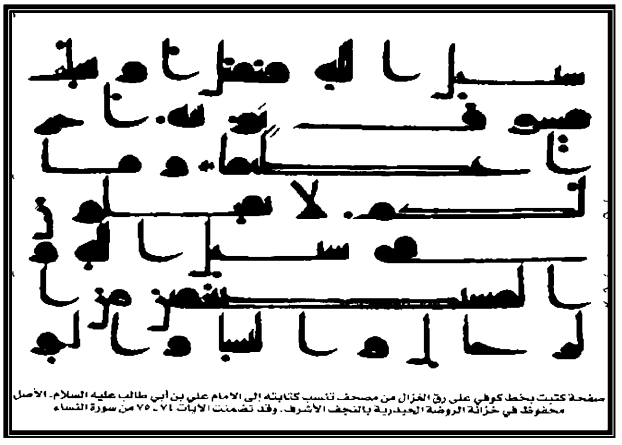

صفحة كتبت بخط كوفي على رق الغزال من مصحف تنسب كتابته إلى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام. الأصل محفوظ في خزانة الروضة الحيدرية بالنجف الأشرف. وقد تضمنت الآيات ٧٤ - ٧٥ من سورة النساء

الثاني: في خزانة مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) التي أسسها العلامة الأميني رحمه الله.

(1) أي سنة 1047

(2) أي سنة 1155

(3) أي سنة 1156

الثالث: في خزانة مخطوطات مكتبة المتحف العراقي في بغداد

صفحة كتبت بخط كوفي على رق الغزال من مصحف تنسب كتابته الى الامام علي بن ابي طالب (ع)
الاصل محفوظ في مكتبة المتحف العراقي - المخطوطات برقم١٩٣ تضمن الآيات٢٦-٢٨ من سورة الأحقاف

مصادر البحث

*- خطط الكوفة ورسم خريطتها، تأليف المسيو لويس ماسينيون، ترجمة: تقي محمد المصعبي، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري ط 1 1399/ 1979م مطبعة الغري الحديثة - النجف الأشرف

*- رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، من أعلام القرن 8، طبع منشورات دار بيروت، بيروت 1405 هـ

*- رحلة ابن جبير الأندلسي (تذكرة بالأخبار من اتفاقات الأسفار) دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت.

*- موسوعة العتبات المقدسة، جعفر الخليلي ج6، النجف الأشرف / القسم الأول مؤسسة الأعلمي بيروت ط2 1987 م

*- تاريخ الكوفة الحديث، كامل سلمان الجبوري ط1 1974 - مطبعة الغري الحديثة - النجف

*- ابن أبي الحديد: عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت 656هـ).

شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى 1378هـ / 1959م.

*- الأمين: محسن الحسيني العاملي (ت 1371هـ). أعيان الشيعة، مطابع الإتقان والإنصاف/ بيروت، مطابع ابن زيدون والترقي / دمشق. الأولى 1384هـ /1964م.

*- البراقي: حسين بن أحمد النجفي (ت 1322هـ). تاريخ الكوفة، المطبعة الحيدرية / النجف، الطبعة الثالثة 1388هـ/ 1968م.

*- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487هـ). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة، الطبعة الأولى 1915-1951م.

*- الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت 1104هـ). وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، دار إحياء التراث العربي - بيروت 1381هـ

*- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ). تاريخ بغداد أو مدينة السلام، مطبعة السعادة / مصر.

*- الديلمي: أبو محمد الحسن بن محمد. إرشاد القلوب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / بيروت، الطبعة الرابعة 1398هـ / 1978م.

*- الزركلي: خير الدين. الأعلام، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه، الطبعة الثانية 1373هـ / 1954م.

*- ابن طاووس: غياث الدين عبد الكريم (ت 693هـ). فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النجف، المطبعة الحيدرية / النجف، الطبعة الثانية 1368هـ

*- ابن طاووس: أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر (ت 664هـ). الإقبال، طبع حجري.

*- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، مطابع دار المعارف / مصر 1968م.

*- الطريحي: فخر الدين بن محمد علي الرماحي النجفي (ت 1085هـ). مجمع البحرين، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب/ النجف الأشرف، الطبعة المحققة الأولى 1381هـ / 1961م.

*- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت 460 هـ). الأمالي، مطبعة النعمان / النجف 1384هـ / 1964م.

*- أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين) ت 356هـ). الأغاني، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة دار الكتب المصرية / القاهرة 1381هـ /1961م.

*- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / مصر، الطبعة الثانية 1371هـ / 1953م.

*- ابن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد (ت 367هـ). كامل الزيارات، المطبعة المباركة المرتضوية / النجف الأشرف 1356هـ

*- ماسينيون: لويس. خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المصعبي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، مطبعة الغري الحديثة / النجف الأشرف 1391هـ / 1979م.

*- المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت 1111هـ). بحار الأنوار، المطبعة الإسلامية / طهران 1388هـ / 1389هـ

*- محبوبة: جعفر الشيخ باقر (ت 1377هـ). ماضي النجف وحاضرها، مطبعة الآداب / النجف، الطبعة الثانية 1378هـ /1958م.

*- المنقري: نصر بن مزاحم (ت 212هـ). وقعة صفين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1328هـ

*- ياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ). معجم البلدان، دار صادر / بيروت 1375هـ / 1956م.

*- النوري: الميرزا حسين بن محمد تقي الطبرسي. مستدرك الوسائل، المطبعة الإسلامية 1384هـ

*- نهج البلاغة: لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح: صبحي الصالح، ط1، 1387 هـ - 1967 م، بيروت.

*- الأميني، الشيخ عبد الحسين أحمد النجفي، ت (1392هـ): الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1397هـ).

*- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت 279 هـ / 893م): فتوح البلدان، تح: لجنة تحقيق التراث، مكتبة الهلال (بيروت - 1988م).

* حرز الدين، محمد، ت (1365هـ): مراقد المعارف، تحقيق وتعليق: حفيده محمد حسين حرز الدين، مطبعة قلم، منشورات سعيد بن جبير، (ل. م، 2007م).

*- درور، الرحالة الليدي: على ضفاف الفرات -ترجمة فؤاد جميل - نشر دار الوراق.

*- رسول كاظم عبد السادة (المؤلف): مقتل الإمام علي (عليه السلام): الطبعة الأولى مؤسسة البلاغ بيروت - الطبعة الأولى سنة 2005 م.

*-الطريحي: الدكتور محمد سعيد: العتبات المقدسة في الكوفة ص 174، ط4 المجمع العلمي الفاطمي - أكاديمية الكوفة 2010 هولندة.

فضل الكوفة ومساجدها، ط1، دار المرتضى، (بيروت: بلا ت).

* - الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (من أعلام القرن السادس): -الاحتجاج: تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الموسوي الخرسان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثانية 0341 هـ 1983 م.

* العاملي، السيد محسن أمين، ت (1371هـ): أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت، 1403هـ).

*- القمّي، الشيخ عباس بن محمد بن رضا، ت (1359هـ): مفاتيح الجنان، تعريب السيد رضا النوري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

*- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت 329 هـ /940 م): الكافي، دار الكتب الإسلامية، (طهران -1365هـ). (8أجزاء).

*- ماسنيون، المسيو لويس: خطط الكوفة ورسم خريطتها، ترجمة: تقي محمد المصعبي، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري ط 1 1399/ 1979م مطبعة الغري الحديثة - النجف الأشرف.

*- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (573هـ). الخرائج والجرائح، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، ط، المطبعة العلمية (قم - 1409هـ).

*- ابن شهر أشوب: رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي السردي (ت 588 هـ) مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1376 هـ - 1965 م

*- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي البغدادي (ت 406هـ). نهج البلاغة: لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تح: صبحي الصالح، ط1، 1387 هـ - 1967 م، بيروت.

*- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، (ت318هـ/929م). الآمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ط1، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، (طهران - 1417هـ).

*- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، (ت 329 هـ /940 م). الكافي، دار الكتب الإسلامية، (طهران -1365هـ). (8أجزاء).

المجلات:

*- السفير، مجلة شهرية تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به، المشرف العام السيد موسى تقي الخلخالي.

*- -حولية الكوفة، العدد الأول، تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به، رئيس التحرير: الدكتور كامل سلمان الجبوري.

*- مجلة الموسم، أكاديمية الكوفة - هولنده، صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور محمد سعيد الطريحي

*- مجلة آفاق نجفية، النجف الأشرف، صاحبها ورئيس تحريرها الدكتور كامل سلمان الجبوري